كيف نتوجه
إلى
القرآن الكريم

بقلم

الأستاذ الدكتور نور الدين عتر

رئيس قسم علوم القرآن والسنة
في كلية الشريعة
جامعة دمشق

ملخص البحث

التوجه إلى قراءة القرآن وحالُ قراءته بحث جوهري ، يبيّن ما يُطلب من المسلم حامل القرآن ومعلمه ومتعلمه وطالب العلم ، لكي يحقق كل منهم الهدف المطلوب .

وثمة أحكام التأهب للقراءة ، أهمُّها شرطُ الطهارةَ ، وما يُرخَّص لضرورة التعليم ،وسرٍّ افتتاح القراءة بالاستعاذة والبسملة ، وبيان عدم اشتراط النية للثواب على قراءة القرآن .

وفي البحث التوجه للقراءة نفسها ، ويتلخص في ركنين :

أولهما : التدبر والخشوع ، وهو ثلاث مقامات لها أثر عظيم في فهم القرآن .

ثانيهما : الترتيل ، والأمر به في القرآن ، وحد الواجب منه والكمال . . .

وثمة فروع تتعلق بركني التدبر والترتيل عرض لها البحث ، وحقق قضايا مهمة ، فيها خلاف ، مثل أن الخلاف في تلحين القرآن لفظي ، ولا خلاف في جوازه إذا التزمت فيه أحكام التلاوة ، كذلك أحكام قراءة الجماعة والقراءة للغير ، وجوازهما ، وهو فتح باب للإكثار من تلاوة القرآن .

وفي البحث أحكام استماع التلاوة ، وتدبرها ، وختم القرآن والدعاء عقيبه .

فالبحث ضروري لكل ، لتحقيق الصلة المطلوبة بين المسلمين وكتاب الله تعالى .

وامتاز هذا البحث بتجديد الدراسة ، وتجديد التقسيم ، وابتكار الأسلوب والاعتناء بالعزو والتوثيق العملي .

كيف نتوجه إلى القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن القرآن الكريم هو الذكر الحكيم ، هو الروح التي تصعد بقلب الإنسان ، من سفاسف الدنيا ، ليتوجه نحو بارئه ، وتحوطه وتحميه من الانحراف عن صراطه ، وهو حكمة الله العليا ، التي أنزلها لتسلك الإنسانية بها سبيل الخير ، وتحتمي عن سُبُل الأهواء المضلة عن الله ، والمودية في مهاوي الهلاك .

وإن تلاوة القرآن الكريم اقتباس من أعظم نعمة أنعم الله بها علي الإنسان ، وأقوم هداية بعث بها الرسل والأنبياء ، فكانت جديرة بالإهتمام بها ، وبدراسة التوجه إليها ، ليتجه المسلم إلى القرآن وجهة سديدة ، تؤتي نتائجها كاملة ، وثمارها شافية .

وقد كثرت الكتابات في آداب حَمَلَةِ القرآن ، وآداب تلاوته وأحكامها ، وزخرت بتوجيهاتٍ لأمة الإسلام حيوية في موضوعها ، فكان المثقف المسلم في هذا العصر أحرى بأن تُقَدَّم له دراسةٌ تجدد بحثها ، لاسيما وقد كثرت في هذا العصر النزعات ، وتشعبت بالإنسان طرق الأهواء والآراء .

لذلك رأينا تقديم هذا البحث المهم ، لتوجيه أبناء أمتنا وشبابها نحو القرآن الكريم ، مستمدين من هَدْي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ثم من إرشادات السلف الصالح رضي الله عنهم وأرضاهم ، وسلك بنا سبيلهم .

المصدر الشعوري :

اعلم أنه ينبغي لَمْحَ موضعِ النعم على مَن علّمه الله القرآن العظيم إو بعضه ، بكونه أعظم المعجزات ؛ لبقائه ببقاء الإسلام ، ولكونه ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ، فالحجة بالقرآن قائمة على العالم في كل عصر وزمان ، لأنه كلام رب العالمين ، وأشرف كتبه جلّ وعلا . فليستشعر من عنده القرآن أن الله تعالى قد أنعم عليه نعمة عظمى ، وليستحضر من العمل ما يكون به القرآن حجة له ، لاحجة عليه ؛ لأن القرآن مشتمل على طلب أمور والكف عن أمور ، وفيه العبر والدروس بأخبار من أطاعوا فنجوا ، وأخبار من عصوا فهلكوا وصاروا عبرة للمعتبرين ، فَلْيَعْتَبِرْ قارئ القرآن بذلك كله ، وَلْيَسْتحضِرُ أيضاً تكريم الله إياه أن جعله يقرأ هذا القرآن ويناجي به ربه ، فإذا وُفقٌ لذلك انْكَفَّتْ نفسه عن الرذائل ، وأقبلت على العمل الصالح الكاملِ ، وتبعت آداب التلاوة وصدرت من النفس متأثرة بهذه المشاعر ، وزادت بالتالي توفيق القارئ لقطف ثمار قراءته ، والتَّنَوُّرِ بأنوار تلاوته .

ومراعاة لحسن تقسيم الدراسة نجعلها ستة أقسام ؛ هي أصول التوجه التي أسماها أسلافنا آداباً ، وهي :

١ – توجهات معلم القرآن الكريم وحامله .

٢ – توجهات متعلم القرآن الكريم .

٣ – التأهب لتلاوة القرآن الكريم .

٤ – التوجهات في تلاوة القرآن الكريم .

٥ – التوجهات في الإستماع للقرآن الكريم .

٦ – ختم القرآن الكريم .

* * *

المبحث الأول

توجهات معلم القرآن الكريم وحامله

وهي توجهات يتأدب بها كل معلم يعلم القرآن ، أو يعلم علماً شرعياً ، أو عالم بعلم من هذه العلوم الشريفة ؛ لأن علوم الشرع مشتملة على العلم بالقرآن كلياً أوجزئياً ، وهي مستمدةٌ منه وخادمة له .

أولاً : فمن أهم الآداب المتعلقة بشخص المعلم والعالم ، واللازمة لهما(١) .

١ – أول هذه الآداب التي توجه النفس **واجب أساسي** هو روح كل عمل – لاسيما هذه العلوم ، التي هي أفضل ما عُبِدَ اللهُ به بعد الأركان – وذلك **هو الإخلاص** . قال الله تعالى : ﴿ ومَا أُمِرُوا إلا لِيعْبُدُوا اللهَ مُخلِصينَ له الدين حُنَفَاء ﴾ . وقال رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى »(٢) متفق عليه . وهذا الحديث من أصول الإسلام ، بل هو نصف الإسلام ؛ وذلك لأنه أعلق بالنفس وبالعقيدة ، يخلص العمل من شوائب التوجه لغير الله تعالى .

ولأكابر الأمة عبارات في الإخلاص مهمة :

قال أبو القاسم عبد الكريم القشَيْرِي : « الإخلاصُ إفرادُ الحق سبحانه وتعالى في الطاعة بالقصد ، وهو أن يريدُ التقرّبَ إلى الله تعالى دون شئ آخر ، من تَصَنُّعٍ لمخلوق ، أو اكتساب مَحمَدةٍ عند الناس .. أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى » .

وقال ذو النون ثوبان المصري : « ثلاثٌ مِن علامات الإخلاص : استوائه المدح والذم من العامة ، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال ، واقتضاءُ – أي طلب – ثواب الأعمال في الآخرة » .

---

(١) مستخلصة من كتاب التبيان في اداب حَمَلة القرآن للنووي : ٣٩–٤٥ وانظر المجموع شرح المهذب له : ٢ :١٨٣ – ١٨٤ وغيره .

(٢) البخاري في مطلع صحيحه ومواضع أخرى ومسلم في الامارة : ٦ : ٤٨ .

وقال سهل التَّسُتَري : « نظر الأكياس في تفسير الإخلاص ، فلم يجدوا غير هذا : أن تكون حركته وسكونه في سرِّه وعلانيته لله تعالى وحده ، لا يمازِجُه شئ ؛ لا نَفْسٌ ، ولا هوىً ، ولا دُنيا »(٣) .

ويساعد على ذلك سؤال الله تعالى الإخلاص ، ودعاء التوجه في افتتاح الصلاة بحضور قلب وضراعة ، والتعوذ من دخول الدنيا في قصده بأي صورة أو شكل ، فاحفظ ذلك .

٢ - الحذرَ الشديد أن يدخل عليه في قصده غرض من أغراض الدنيا .

مثل طلب المال ، أو الرئاسة ، أوالتفوق على زملائه أو ثناء الناس عليه ، أو صرفِ وجوه الناس إليه وجمعهم حوله ليباهي بكثرة المشتغلين عليه ، ومن ذلك أن يكره قراءة أحد من طلابه على غيره من أهل العلم المفيدين ، حذّر الأئمة من ذلك ، لأنه دلالة بيّنة على سوء نية ، وفساد طوية(٤) ، كذلك ما ذكرناه قبل هذه الأخيرة ، وكلها تدخل في قوله تعالى : ﴿ ومَنْ كان يُريدُ حَرْثَ الدُّنيا نُؤتِه مِنها ومالهُ في الآخرةِ مِن نَصيْب ﴾ .

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَعَلَّمَ علما مما يُبتغَى به وَجهُ الله ، لا يَتعَلَّمهُ إلا ليصيبَ به عَرَضاً مِن أعرْاضِ الدنيا لَم يَجدْ عَرْفَ الجنةِ يومَ القيامة » أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي(٥) .

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ونعوذ بك من فتنة الدنيا .

٣ - أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل ، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه ، إجلالاً للقرآن ، وأن يكون مترفعاً علي الجبابرة

---

(٣) انظر هذه الأقوال الحكيمة وغيرها في التبيان : ٤٠ - ٤٢ .

(٤) المرجع السابق : ٤١ .

(٥) المسند : ٢ : ٣٣٨ وأبو داود في العلم (طلب العلم لغير الله) : ٣ : ٣٢٣ وابن ماجه في مقدمة سننه رقم ٢٥٢ . وابن حبان : ١ : ٢٧٩ والمستدرك : ١ : ٨٥ وصححه على شرط الشيخين . وفي الباب أحاديث كثيرة .

والمستكبرين من أهل الدنيا ، اعتزازاً بما أتاه الله تعالى من كنز القرآن أو علم الشرع ، فإنه أنفس شئ عند العقلاء ، لا تقوم به الدنيا ، قال تعالى مُمْتَنّا على رسوله ﷺ : ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم . لا تمدُّنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ [الحجر : ٨٧ – ٨٨] .

فجعل سبحانه إيتاء القرآن موجباً للترفع علي الدنيا وأهلها ، وللتواضع للمؤمنين المتقين . فكان القرآن مِنّةً عظمى على البشرية جمعاء ، تتضاءل أمامها الدنيا كلها .

وقال الفضُيلِ بن عياض : « ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء ، فَمَن دونهم » .

وما أحسن قول الحسن البصري : « إنَّ مَنْ كان قبلكم – يعني الصحابة – رأوا القرآن رسائلَ من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار » .

٤ – ينبغي لمعلم القرآن أو علم الشرع أن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها والخصال المرضيَّة التي أرشد إليها ، ومن ذلك الزهاده في الدنيا وعدم المبالاة وبأهلها ، والسَخاء والجود ، وطلاقة الوجه ، وغير ذلك .

وعليه أيضاً تحسين هيئته ، بالتزام النظافة في البدن والثياب ، وإزالة شعث الرأس واللحية ، وتقليم الأظفار ، وتسريح اللحية . وإزالة الروائح الكريهة من بدنه أوثيابه .

وغير ذلك مما يكمل به الإنسان ، احتراماً للقرآن والعلم والذي رفع الله أصحابه وأعلا مقامهم .

وهذه مطلوبة من كل مسلم لكنها هنا أوكد وألزم .

٥ – لِيَحْذَرْ عالم القرآن أو أي علم شرعي أن يتخذ القرآن أوالعلم أداة لكسب المَال ، يقصد به الدنيا . لما سبق من وجوب الإخلاص ، والبعد عن الرياء ، ولماورد في الكتاب والسنة من التهديد والوعيد على كتمان العلم . ومنه تعليم القرآن فإنه واجب على الكفاية ، كما أن تعلمه واجب على كل مسلم .

أما أخذ الأجرة على تعليم القرآن – لمن خلصت نيته عن قصد الدنيا وأكل المال بالقرآن أو العلم ، فهذا الأخذ للأجرة بهذا الشرط قد اختلف العلماء فيه ، وكثيرا من السلف كانوا على المنع ، ومنهم الحنفية والمالكية .

ثم اتفق المتأخرون على جواز أخذ الأجرة على ما ذكرنا ، لما رأوا ضرورة انتظام تعليم القرآن ، ونشر العلم توجب ذلك بها(٦) ويشهد لذلك حديث عبد الله بن عباس في اللديغ لما رقاه بعض الصحابة وجعلوا له جُعَلاً ، أي عطية ، وقال النبي ﷺ : « إنّ أحقَّ ما أخَذْتُم عليه أجراً كتاب الله » أخرجه البخاري(٧) .

وإن بذل التعليم بلا مقابل طلبا لثواب الله مرتبة عليا ، هي عمل الأنبياء والمرسلين .

ثانياً : ومن آداب المعلم في معاملة طلابه :

١ – أن يبذل المعلم النصيحة لطلبته : فإن « الدين النَّصيحة » كما ثبت الحديث الشريف وصح(٨) ، ومن النصيحة لله ولكتابه ولرسوله إكرام قارئ القرآن ، وطالب العلم ، وإرشادُه إلى مصلحته ، وأن يحرضه على الطلب ويذكر له فضيلة ذلك ؛ ليكون سبباً في نشاطه ، وأنْ يعرِّفه علو منزلة هذا العلم ، حتى تنمو فيه عزة النفس الإيمانية ، كيف لا وهو طريق الأنبياء والصديقين وعباد الله الصالحين .

ومن ذلك أن يحنو على الطالب ، ويعتني بمصالحه اعتناءه بمصالح نفسه وولده ، ويصبر على إساءته ، فإن الإنسان معَرَّضٌ للنقص ، لاسيما صغير السّنّ .

٢ – التحَذُرُ من التعاظم على المتعلمين :

وهذا خطأ يقع فيه بعضهم ، وقد يخلط بينه وبين الوقار ، فالتعاظم لايجوز ، بل يلين المعلم لطلابه ، ويتواضع لهم ، وقد حض الشرع على التواضع مع آحاد الناس ، فكيف مع خيارهم وهم طلبة القرآن وطلبة العلم ،

---

(٦) انظر التفصيل في التبيان : ٤٨ و ٥٨ – ٦٠ والبرهان : ١ : ٤٥٧ – ٤٥٨ .

(٧) في الطب (الشروطفي الرُّقْيَة بفاتحة الكتاب) : ٧ : ١٣١ .

(٨) مسلم في الإيمان : ١ : ٥٣ والبَخاري معلقاً في الإيمان : ١ : ١٧ .

وهم بمنزلة أبناء المعلم وبناته ، فيتلقى أسئلتهم دون ملل ، وينظر في أحوالهم ، ويسعى في تذليل الصعاب لهم .

٣ - التدرج في التعليم والتربية :

يبدأ المعلم تعليمه بما يناسب مستوى طلبته ، وينتقل بهم على التدريج إلى أعلى فأعلى . كذلك يتدرج في تهذيب طلبته بالآداب السَّنِيةِ ، والصفات والأخلاق المرضية ، ورياضة نفسه بالدقائق الخفية ، ويعودهم صيانة قلوبهم في جميع أمورهم الباطنة والجلية .

ويعتني الأستاذ بِغَرْسِ المراقبة في نفوس الطلبة ، ويحرضهم على الإخلاص لله تعالي في جميع اللحظات ، ويستعين كل واحد بالله تعالى على ذلك ، فالدعاء مستجاب .

واعلم يا طالب القرآن وطالب العلم أن ذلك هو مفتاح أبواب المعارف ، وشرح الصدر ، وبه يتفجر من القلبِ ينابيع الحِكَمِ واللطائف ، ويبارك الله تعالى للعالم في علمه ، ويوفقه في أفعاله وأقواله .

٤ -الحِرْص على إفادة الطلبة :

ينبغي أن يكون المعلم حريصاً على تعليم طلبته ، مؤثراً لذلك ومقدِّماً له على مصالح نفسه الدنيوية التي ليست ضرورية ، وأن يفرِّغَ قلبه في حال التعليم من الأسباب الشاغله كلها ، وأن يكون حريصاً على حسن تفهيمهم .

ويراعي في ذلك أن يعطي كل إنسان ما يليق به ، فلا يكثر على مَنْ لا يحتمل الإكثار ، ولا يقصِّر بمن يحتمل الزيادة في القراءة أو الحفظ ، أو في تحصيل علمي غيرالمقروء على الجميع .

ويحسِّ الحُسنَ فيهم من الجدّوالبراعة ويعليه ، ويعاتب على التقصير من غير تعنيف أو تنفير ويوهيه ، كما هي سنة النبي ﷺ ، ولايتضايق من

براعة تظهر في بعضهم ، وهذا يكثر في أصل الدنيا ، فالمتعلم بمنزل الولد من المعلم ، ويعود ثواب تفوقه الجزيل في الآخرة إلى المعلم ، كما يعجّلُ الله له في الدنيا الثناء الجميل .

قال العلماء : ولا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية ، قال سفيان الثوري وغيره : « طَلَبُهم للعلم نيه » وقالوا : « طلبنا العلم لغير الله تعالى ، فأبى أن يكون إلا لله » . أي في نهاية الأمر غلب العلم الجهل في النفس فأخلصت لله .

٥ - إتخاذ حال المهابة والوقار :

ليكن معلم القرآن أو أي علم وقوراً ، أي ساكناً ، لا يكثر من الحركات بغير حاجة ، لذلك ينبغي أن يصون يديه عن العبث ، وعينيه عن تفريق نظرهما من غير حاجة ، ويُقبل على كل طلابه ، ويقعد علي طهارة مستقبل القبلة ، ويستعين بالإشارة بيده لتفهيم المعنى من غير إكثار أو زيادة ، وتكون ثيابه وسائر هندامه نظيفة ، وشعر لحيته ورأسه مُرَجَّلاً مرتَّباً .

وينبغي أن لا يُذلَّ العلم ، فلا يذهب إلى مكان من يتعلمُ منه ليعلمه فيه ، بل يصونُ العلمُ عن ذلك ، كما صانه السلف ، وحكاياتهم في ذلك كثيرة بل يصونُ العلمُ عن ذلك ، كما صانه السلف ، وحكاياتهم في ذلك كثيرة مشهورة . وقد تهاون بعض أهل العلم في زمننا بهذا ، وقصدوا أهل الدنيا لطباعة كتبهم على نفقتهم ، بزعم توزيعها ، وجرّ ذلك إلى إشكالات ، سُوءِ سُمْعَّة ، يجب أنْ يصانَ العلمُ والعالِمُ عنها(٩) .

---

(٩) اقتبسنا هذه الآداب والتوجيهات المهمة بتصرف واختصار من التبيان : ٣٩ - ٥٠ و ٥٧ - ٦٠ . وقد عُني بها المحدثون في بحث آداب المحدث وهي تناسب ما هنا فارجع إليها ، في علوم الحديث لابن الصلاح رقم ٢٧ ص ٢٣٩ - ٢٤٢ ، وإرشاد طلاب الحقائق للنووي : ١٦٧ - ١٧٠ ومنهج النقد في علوم الحديث رقم ٤٢ ص ١٩٤ - ١٩٦ .

المبحث الثاني

توجهات متعلم القرآن وطالب العلم

١ - **الإخلاص** في طلب العلم وفي تعلم القرآن ، وتصحيح النية ، فإن ذلك يؤثر كثيراً في انتفاعه وتوجهه في المستقبل ولا يتساهل في ذلك ، وسبق في آداب المعلم ما فيه كفاية ، كذلك سائر ما ذكرناه هناك مطلوب هنا ، فاستحضره ، واحرص عليه ، ولاسيما في المرحلة المتقدمة ، كالجامعة وما فوق ، فإن الهواجس والوساوس تكثر على الطالب ، فليزدد منها حذراً . وليجتنب أسباب الإنشغال عن التحصيل ، إلا سبباً لابُدَّ منه للحاجة ، كالالتحاق بعمل يمكن أن يكتفي عنه ، أو أداء التجنيد وبوسعه تأخيره ... ، ويقبل على العلم والقرآن بقلب خالص ، ليصلح لقبول القرآن والإنتفاع به وبالعلم ، وقد ثبت في الحديث في الصحيحين(١٠) قوله ﷺ « ألا وإن في الجسد مُضغَةٌ إذا صَلَحت صلَح الجَسد كلّه ، وإذا فَسَدت فَسَد الجَسَد كُلُّه !! ألا وهي القلب » .

٢ - اختيار المعلم :

لا يتعلم طالب القرآن وكذا العلم إلا ممن كملت أهليته ، وظهرت ديانته ، فقد قال السلف رضي الله عنهم « إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم »(١١) . والقرآن أصل الحديث ، لذلك ،رد : « إن هذا العلم دين ... » .

---

(١٠) البخاري في الإيمان (فضل من استبرأ لذينه وعرضه) : ١ : ١٦ ومسلم في البيوع : ٥ : ٥٠ - ٥١ .

(١١) ورد كذلك عن جماعة من التابعين بلفظ « كان يُقال : إن هذا الحديث .. » وورد بلفظ : « كان يقال : إنما هذه الأحاديث ... » وهذا التعبير يفيد اتفاق الصحابة على ذلك ، انظر تخريج الأقوال عن التابعين في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي : ١/١/١٥ .

وان كثر المعلمون لازم منهم من هذه صفاته ، وأكثر من الأخذ عنه في غير أوقات العمل وغيرها ، من غير إثقال ولا إملال .

٣ - التواضع مع المعلم والتأدب مع الرفقة :

لابدَّ أن ينظر المتعلم إلى معلمه بعين الاحترام ، ويعتقد كمال أهليته ، فإنه أقرب لانتفاعه به ، وعلى الأهل والأصدقاء تقرير ذلك ، ودفع سوى ذلك مما قد يجرؤ عليه بعض الطلبة . وذلك أن معلم القرآن أو العلم هو الوسيلة التي يتعرف من خلالها المؤمن على رب البرية سبحانه وتعالى ، وعلى الأوامر والنواهي الشرعية ، فتستقيم حياته ، ويفوز في آخرته .

ومن جوامع ذلك قول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « مِن حقِّ العالم عليك أن تسلِّم على الناس عامة وتَخُصَّه دونهم بالتحية ، وأن تجلسَ أمامه ، ولا تشيرنّ عنده بيدك ، ولا تَغمِزَن بعينك ، ولا تقولَن : فلان قال .. خلافاً لقوله ، ولا تغتابَنّ عنده أحداً ، ولا تُساررْ في مجلسه ... »(١٢) . وهذه مأخوذة من آداب الصحابة في مجلس النبي ﷺ .

ومن احترام المعلم الإقبال الكليُّ عليه ، والتأدُّبُ مع رفقة الطالب والحاضرين في المجلس ، وبذل الفائدة لهم ، وإن لا يبخل بذلك ، وذلك لؤم يقع فيه البعض . ولا يساءل الشيخ في حال شغل قلب الشيخ ، أو كونه مستعجلاً أوماشياً ، ولَيَحْتَمِلْ ما قد يصدر من جفاء معلمه ، ولْيَلْتَمِسْ له العذر فيما قد يُنْقَدُ عليه ، (ولا يساير بعض السفهاء في النيل منه) .

٤ - الحرصُ على التَّعَلُّم :

هذا أساس في تحصيل علم القرآن ، وكل علم ، أن يحرص متعلم القرآن

---

(١٢) التبيان : ٥١ .

أو العلم على التعلم ويواظب عليه في جميع الأوقات ، ولا ينتظرن قرب وقت المذاكرة أو الامتحان ، كما درج عليه كثير من الطلبة ، فذلك تضييع للعمر ، وخسارة للفائدة . فينبغي للطالب أن يأخذ نفسه ويلزمها الاجتهاد في التحصيل ، وقت فراغه ونشاطه ، قبل شغله ، أو ارتفاع منزلته . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تَفَقَّهوا قبل أن تُسَوَّدوا » . معناه اجتهدوا في تكميل تحصيلكم وأهليتكم في فترة الطلب ، قبل أن تتولوا أعمالاً أو وظائف تمنعكم عن التحصيل .

٥ - مذاكرة الحفظ والعلم :

يجب على طالب القرآن مذاكرة حفظه ، بنظام مستمر ، امتثالاً لأمره ﷺ(١٣) : « تعاهدوا القرآن ... » ، وتحاشياً لنسيانه الذي هو من الكبائر كما ثبت الحديث(١٤) . ودرج الحفاظ على قراءة خمسة أجزاء يومياً ، وقالوا : « من قرأ الخمسَ لم ينسَ » .

كذلك يجب على طالب العلم مذاكرة علمه ، ولا يكتفي بنجاحه في الامتحان ، فذلك غلط عظيم يقع فيه أكثر الطلبة ، فلا تمر عليهم فترة إلا وقد عادوا جاهلين كأنهم لم يتعلموا .

وقد تخلف المسلمون في علوم دينهم ، كذلك دنياهم بسبب ذلك ، فليتحرر طالب العلم من رق الامتحانات والاختبارات ليكون طالب علم صاحب رسالة يؤديها عن رسول الله ﷺ وذلك يدفعه للازدياد من الدرس بعد التخرج ويدفع كل مثقف مسلم إلى تحصيل علم الشرع فإنه

---

(١٣) في الحديث المتفق عليه : البخاري في فضائل القرآن (استذكار القرآن) : ٦ : ١٩٣ ومسلم في صلاة المسافرين : ٢ : ١٩٣ .

(١٤) وفيه : « .. وعُرضت عليّ ذنوبُ أمتي فلم أرَ ذنباً أعظم من سورة أو آية أوتيها رجلٌ ثم نسيها » . أبو داود في الصلاة (كنس المسجد) : ١ : ١٢٦ ويشهدُ له أحادَيث مرفوعة وموقوفة ، كما نبه الحافظ ابن حجر في فتح الباري : ٩ : ٧٠ ، فكن على حذر .

واجب عليه ، كما ثبت الحديث الشريف عنه ﷺ قال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

وَلْيَسْتَعِنْ طالبُ العلم بالتعليم وعقد دروس في علومه ليقوم بتبليغها ، ويتمكن من معرفتها والازدياد منها ، فحياةُ العلم مذاكرتهُ وتعليمه والعمل به .

هذه نبذ في آداب المعلم والمتعلم(١٥) ، يجب الاعتناء بها في حياتك ، ليؤتي تحصيلك العلمي ثماره في الدنيا والاخرة ، **وأساسها الإخلاص** لله تعالى **واليقينُ بشرف تعليم القرآن وعلوم الشرع** ، **وفضيلتها على كل علم** ، وكل متاع أو منزلة دنيوية لأن بها سعادة الخلق في الدارين .

---

(١٥) انظرها في التبيان : ٥٠ – ٥٤ وانظر للاستزادة : علوم الحديث : ٢٤٥ – ٢٥٢ وإرشاد طلاب الحقائق : ١٧١ – ١٧٣ ومنهج النقد رقم ٣١ ص ١٨٩ – ١٩٢ .

المبحث الثالث

التأهب لتلاوة القرآن الكريم

إن قراءة القرآن من أجل أمر يشتغل به الإنسان ، وهي لمن قصد بها التقرب إلى الله تعالى والتفكر بآيات من أعظم الطاعات . لذلك شُرِعَ لها التأهب والاستعداد بما يُعِدُّ النفسَ لِحسُنِ الانتفاع بالقراءة أوالتأهل لها ، وبعض هذه التوجهات شرط ، وهو أوّلُها ، ونبينها فيما يأتي :

١ - الطهارة الكاملة(١٦) :

الطهارة الكاملة من الجنابة والحيض والنفاس شرط لجواز قراءة القرآن ، سواء كانت عن ظهر قلب أو من المصحف ، وسواء كانت بمسٍّ المصحف أو من غير مَسّه ، بإتفاق الجمهور ومنهم الأئمة الأربعة .

وعليه فالجنب والحائض والنفساء فإنه يحرم عليهم قراءة القرآن ، ويجوز لهم إجراءُ القرآن على قلوبهم ، كما يجوز لهم النظر في المصحف من غير مَسٍّ وإمرارُه على القلب . وأجمعَ المسلمون على جوازِ سائر الأذكار سوى القرآن لهم ، كالتوحيد وللاستغفار والصلاة على ﷺ ، وغير ذلك .

وأما مَسّ المصحف فالطهارة الكاملة واجبة له بإتفاق الجمهور والأئمة الأربعة ولو لم يقصد القراءة ، وأجاز الحنيفة مسّه بحائلٍ غير متصل به .

وأجاز المالكية قراءة القرآن ومَسّ المصحف للحائض والنفساء ؛ للتعليم أو التعلم أو الحِفظ تسيراً عليهن .

وأما من أراد أن يقرأ القرآن من غير لمسِ المصحف فيستحب له أن يكون على طهارة كاملة من الحدثين الأكبر والأصغر ، فإن قرأ محدثاً حدث أصغر من غير لمس المصحف جاز بالإجماع بلا كراهة .

---

(١٦) استدلوا بحديث : « لا يمسُّ القرآن إلا طاهر » . انظر دراسة إسناده والاستنباط منه مفصلاً في كتابنا (أعلام الأنام شرح بلوغ المَرام من أحاديث الأحكام) : ٢١٩ - ٢٢٢ .

٢ - استحسان المكان والزمان :

تؤثر البيئة المحيطة بالإنسان في نفسيته ووعيه ، لذلك كان للمكان والزمان أثر في التلاوة .

أما المكان : فتسن القراءة في مكان نظيف ، وأفضله المسجد ، لاسيما إذا نوى الاعتكاف فيه مدة مكثه ، وتصح القراءة في أي مكان كان ، لكن تكره في الأماكن المستخبثة ، مثل الحمام وغيرها .

وتجوز القراءة في الطريق ماشياً أو راكباً بلا كراهة ، فلا تضيع يا صاحب القرآن أو الذكر هذه الأوقات النفيسة التي تقضيها في التنقل .

وأما الزمان : فكل الأوقات تباح القراءة فيها ، ولا تكره في شيء منها لذلك الوقت بنفسه . فَلْيَغْتَنم القارئ فُسْحَةَ الوقت .

وثمة أوقات لها أولوية ؛ أفضلُها ما كان في الصلاة ، ثم الليل ، ثم نصفه الأخير ، وهي ما بين المغرب والعشاء محبوبة ، كذا بعد الصبح(١٧) ، لكن لا تتركِ القراءةَ في نشاطك لأجل وقتٍ أولى ، فربما لا تنشط .

ومن الطبيعي أن تزداد المثوبة إذا زادت المشقة في قراءة القرآن والاستعداد لها : قال عز وجل : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مثقالَ ذرّةٍ خيراً يَرَهْ ﴾ . ومع وجود أولوية لبعض الأوقات في قراءة القرآن فإنما ندعو إلى قراءته في أي وقت يتسنّى لك أيها المؤمن ، سواء كان في عملك أو في بيتك ، في السفر أو الحضر ، أو في وقت راحتك ؛ **فإن القرآن الكريم هو الروح الإلٰهي** الذي لا يفارق المسلم .

وقد كثرت مشاغل الحياة الدنيا في عصرنا هذا ، فجدير بك أيها المسلم أن تنتهز كل فرصة لهذه العبادة الجليلة ، وقد تيسر ذلك مالم يتيسَّرْ من قبل قراءة واستماعاً . بما قدمه العلم من مصاحف بأحجام متنوعة كثيراً ، أو أجزاء متفرقة من القرآن ، أو تسجيلات مسموعة أو

---

(١٧) التبيان : ١٢٨ والمجموع : ٢ : ١٨٢ - ١٨٣ .

مرئية ، مما يؤكد ما قلناه . فهيا أيها المؤمن لتكون من « أهل القرآن » ، الذين « هم أهلُ الله وخاصته »(١٨) .

٣ - السواك :

يُسَنٌّ الاستياك لقراءة القرآن العظيم ، تعظيماً له ، وتطهيراً ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « السواك مَطْهَرةٌ للفم ، مرضاة للرب » أخرجه النسائي وصححه ابن خُزيمة وابن حبان(١٩) .

فحسنَ السواك لأجل هذه القربة العظيمة .

٤ - حسن الجِلسَة :

يُستحب أن يجلس قارئ القرآن مستقبل القبلة ، لأن هذا أفضل اتجاه ، ويجلس مَتخشعاً بسكينة ووقار ؛ ليكون ذلك أعون على الانتفاع بالقراءة لكن لا يترك القراءة انتظاراً لتهيئة ذلك ، فلو قرأ قائماً أو مضطجعاً في فراشه أو غير ذلك من الأحوال جاز(٢٠) .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ في خلق السَّموَات والأَرْضِ واخْتلاف اللَّيلِ والنَّهارِ لآيَاتٍ لأُولي الألبَابِ * الذين يذكُرونَ الله قِياماً وقُعُوداً وعَلَى جُنُوبهم ﴾ .

وثبت الحديث في الصحيحين(٢١) ، عن عائشة رضي الله عنها « أن النبي ﷺ كان يتكئُ في حَجْري وأنا حائض ثم يَقْرأُ القرآن » .

ولا بأس أن يطيب القارئ مكان قراءته ، مما يبعث النشاط وراحة

---

(١٨) اقتباس من الحديث الثابت عن أنس قال رسول الله ﷺ : « إن لله أهْلِينَ من الناس ! » . قالوا : مَن هم يا رسول الله ؟ قال : « هم أهلُ القرآنِ ، أهل الله وخاصَّتهَ » . ابن ماجه : ١ : ٧٨ والمستدرك : ١ : ٥٥٦ . وإسناده صحيح .

(١٩) النسائي : ١ : ١٠ وابن خُزَيمة رقم ١٣٥ وابن حبان : ٢ : ٣٤٨ ورواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم : ٣ : ٣١ .

(٢٠) التبيان : ٧٦ والاتقان : ١ : ٢٩٦ .

(٢١) البخاري في الحيض (قراءة الرجل في حَجْرِ امرأته وهي حائض) : ١ : ٦٣ ومسلم .

النفس . وأفضل الاتجاهات القبلة ، وتفضل إن تيسرت في عموم الأحوال ، لتقوية الصلة بالعبادة .

وأما نية القراءة فليست شرطاً ، بل تجوز القراءة بلا نية ، ويثاب الحسنة بعشر أمثالها وكل حرف حسنة ، ولو لم يكن هناك نية ، لأن قراءته عبادة بذاتها ، وهكذا الأذكار كلها . لكن إذا نذر القراءة فلا من نية قراءتها للنذر أو الغرض(٢٢) .

٥ - الاستعاذة والبسملة :

الاستعاذة والبسملة شعاران ايمانيان حيويان ، من الشعارات الإسلامية اليومية ، قُصِد بهما صبغ حياة الإنسان وأعماله بصبغة الإيمان والخير .

أما الاستعاذة ، فهي التَحَصُّن والاحتماء بالله تعالى ، لحماية العمل وهو هنا القراءة أن تشوبها شائبة نقص ، أو ما يبعدها عن القبول عند الله ، ولحماية الإنسان نفسه من كل مكروه . احتاج القارئ إليها ؛ لأن قراءة القرآن من أعظم الطاعات ، ووسائل التقرب إلى الله تعالى ، والترقي في منازل القرب(٢٣) .

وأما البسملة : فهي شعار يعني الاستمداد من الله تعالى للأمانة على فعل الأمر الذي ذُكِرَتْ عليه ، وإن ذاكرها يتقرب به إلى الله أي بك يا الله أقرأ ، وإليك بالقراءة أتقرب . لذلك جعلها الله عنواناً لكتابه ، وافتتاحا لقراءة القرآن ، وابتداء لكل عمل مهم(٢٤) .

---

(٢٢) الاتقان : ١ : ٢٩٨ .

(٢٣) انظر تفسير الاستعاذة وأحكامها ومواضعها في كتابنا « في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز » : ٧ - ٩ وانظر دراستها مفصلة جداً في كتابنا تفسير سورة الفاتحة : ١١ - ٤٠ .

(٢٤) انظر تفسير البسملة في تفسير القرآن وأسلوب المعجز : ١١ - ١٥ وتفسير الفاتحة ٤٣ - ٧٥

المبحث الرابع

التوجه في تلاوة القرآن الكريم

قراءة القرآن قربة عظيمة إلى الله ، ونعمة عظمى أنعم الله بها على الإنسان ، يناجي الله تعالى بكلام الله ، ويترقى بها في مدارج الإيمان والمعارف والطاعة والتقرب إلى الله تعالى ؛ لذلك كان لها أحكام وآداب جدير بكل مسلم معرفتها ، ومراعاتها في قراءته لكتاب الله تعالى ، وتقوم هذه الأحكام والتوجُّيهات على ركنين هما أصل لغيرهما ، وهما : **التدبُّر والترتيل** ، نوضحهما فيما يأتي :

أولاً – التدبر والخشوع :

هذا يُسَنٌّ متأكداً على القارئ ، فإن التدبر وهو التفهم وكذا الخشوع هما المقصود الأعظم ، والمطلوب الأهم ، وبذلك تنشرح الصدور وتستنير القلوب ، والآيات والأحاديث في ذلك أكثر من أن تُحصر ، وأشهر من أن تذكر .

قال تعالى : ﴿ كِتابٌ أنْزَلناهُ إليكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَرُوا آياتهِ ﴾ [ص : ٢٩] .

والتدبر والخشوع دواء القلب من أمراضه والنفس من عللها ، قال السيد الجليل إبراهيم الخّواص رضي الله عنه : « دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخَلاءُ البَطْنِ ، وقيامُ الليل ، والتضَرُّعُ عند السَّحَر ، ومجالَسَةُ الصالحين »(٢٥) .

لذلك ينبغي لقارئ القرآن أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ بلسانه ، من آيات الله وكلماته ، فيعرفُ من كل آية معناها ، ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها .

---

(٢٥) التبيان : ٧٩ .

وهكذا إذا مّـر بك اية رحـمـة وقَـفْـتَ عندها ، وفَـرِحْـتَ بما وعـد الله تعالى فيهـا ، واستَبْشَرْتُ بذلك . . واسأل الله رحـمته والجنةَ ، وإن قَرأْتَ آية عذابٍ فَقِفْ عندها ، وتأمَّلُ معناها ؛ فإنْ كانتَ في الكافرين اعترِفْ بالإيمان . فقل : آمنّا بالله وحده . . واعْرِفْ موضعَ التخويف ، ثم اسأل الله تعالى أن يعيذك من النار ، وإن كانت في العصاة وكنتَ مُعافىً منها فاسأل الله الثبات وأن يعيذَك من النار ، وإن كنت واقعاً فيها بادر إلى التوبة واعْزِمْ على عدم العود ، واسْأَلِ الله المغفرة وأن يُعيذَكَ من النار .

وإن مـررْتَ بآيةٍ نداءٍ للذين آمنوا : « يا آيها الذين آمنوا » فَـقِفْ عندها – وقد كان بعضهم يقول : لبيك ربي وسعديك – وتأمَّلْ ما بعد النداء من أمرٍ ، أو نهي ، فاعتقدْ قبولَ ذلك ؛ فإن كان من الأمر الذي قد قَصَّرْتَ عنه فاعتذِرْ عن فِعله عند القراءة واستغفر ربك في تقصيرك .

مـثـال ذلك : قـولُه تعـالى : ﴿ يا أيُّهـا الذينَ آمنُوا قُـوا أنْفُـسَكُمْ وأَهلِيكُمْ ناراً وَقُودُها الناسُ والحجارَةَ ﴾ [التحريم : ٦] .

على كل قارئ لدى قراءتها أن ينظر في أمر أهله : في صلاتهم ، وصيامهم ، وطهاراتهم ، وجناباتهم ، وحيض النساء ونفاسِهِنَ ، وعلى كل أحد أنْ يراقِبَ أهله ويسألهم عن ذلك ، فَمن كان منهم يقوم بذلك ويُحْسِنُه كان السؤال تذكيراً له ، ومَن كان مقصراً كان السؤال وسيلة لحضّه وتعليمهِ ما يلزمه . وخصوصاً الصغار فحاجتُّهم ماسةٌ للتذكير والتعليم والحض ، والشدةِ في ذلك لمن احتاج إليها .

كذلك قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى الله توبَةً نَصَوحاً ﴾ [التحريم : ٨] . إذا قرأْتَ هذه الآية تذكرْ أفعالك في نفسك وذويك ، وفيما بينك وبين غيرك من الظُّلامات والغيبة والنميمة وغير ذلك ، فاردد الظلامات لأصحابها ، واستغْفِرْ من كل ذنب عملتَه ، واعْزِمْ أن تقومَ

بذلك واطلبْ ممن ظلَمْتَه أو اغتبتَه السماح ، ولو برسالة أو هاتف إن كان غائباً ، واعتقد ذلك حال قراءتك الآية ، حتى يعلَمَ اللهُ منك أنك سمعتَ وأطَعْتُ .

وإن كان ما تقرَؤه من الآي يَقُص خبر مَن مضى من الأمم فانظر في ذلك . نظر اعتبار ، واشكر الله تعالى إن كان مما صُرِف عن هذه الأمة الإسلامية .

وإن كان ما تقرؤه وعيداً توعَّد الله به المؤمنين فانظر إلى قلبك ، فإذا جنح إلى الرجاء ومال إليه فَفَزِّعْهُ بالخوف ، وإن جنح ومال إلى (الخوف) فخذ بفتح باب الرجاء والأمل ، حتى يكونَ خوفُ قلبك ورجاؤُه معتدلين فإن المؤمن يطير بجناحي الخوف والرجاء ؛ وذلك كمال الإيمان .

وإن كان ماتقرؤه من الآية لم تَعْرِفْ معناه فاسأل عنها أهل العلم ؛ لتكون متعلماً لها ، طالباً لعلم معناها وللعمل بها .

وإن كان ما تقرؤه آية من الآيات المشتابهات التي تفرّد الله بتأويلها فأعتقد الإيمانَ بها ، مفوِّضاً هذا التأويل إلى الله ، كما أمر الله تعالى . قال تعالى : ﴿ فأمّا الذين في قُلوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعونَ مَا تشَابَهَ منه ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تأويله ، وما يَعْلَمُ تأويلَه إلا الله ﴾ [آل عمران : ٧] . أي حقيقة المراد منه ، أو عاقبة الأمر منه .

وقد ندد القرآن بمن قصر في التدبر ، قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ [النساء : ٨٢] ، لذلك كرهت سرعة القراءة الزائدة ، وكره ختم القرآن في أقل من ثلاثة أيام .

وكيفية التدبر أن يشغل القارئ قلبه في فهم معنى ما يقرؤه ، فيعرف معنى كل كلمة وجملة وآية ، ويتأملها ، ويستحضر عظمة قائل القرآن ، وهيبته ، ويتمسكن لله وليخشع .

مقامات التدبر :

وقد قسم بعض العلماء الناس في تلاوة التدبر على ثلاثة مقامات :

الأول : مَنْ يشهد أوصاف المتكلِّم سبحانه في كلامه ، ولهذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه : « ان الله تجلى لخلقه بكلامه ، ولكن لا يبصرون » .

الثاني : مَنْ يشهد بقلبه كأنَّ الله تعالى يخاطبه ويناجيه بألطافه ، ويتحبب إِليه بإِنعامه ، فمقام هذا الحياء من الله وتعظيم الله تعالى .

الثالث : مَنْ يرى أنه يناجي ربَّه سبحانه ، فهذا مقامه السؤال والتمسكن لله تعالى وحاله الطلب ، وهو وصف عامة المتقين(٢٦) .

وكل مقام من هذه سبيل لفهم عال في كتاب الله تعالى ، يتذوقه التالي ، فالحظ هذا ، واستفد منه .

وهذا **تفضيل لهذا الموجز** ، فتأمله :

أما المقام الأول : وهو مقام **مَن يشهد أوصاف المتكلم في كلامه** ومعرفة معاني خطابه ، فذلك أن ينظر بقلبه إِلى صفات المتكلم من كلامه ، وتكلُّمه بخطابه ، وتعرُّفِه من صفاته ، فإِن كل كلمة من القرآن تنبيء عن معنى اسم ، أو وصف ، أو حكم ، أو إِرادة ، أو فعل ، لأن الكلام ينبيء عن معاني الأوصاف ، ويدلُّ على الموصوف .

وهذا المقام مقام العارفين من المؤمنين ؛ لأن العارف لا ينظر إِلى نفسه ولا إِلى قراءته ، بل هو مقصور الفهم على المتكلم سبحانه ، موقوف الفكر عليه ، مستغرق بمشاهدة المتكلم .

ومن أمثلة هذا المقام هذه الواقعة اللطيفة لأبي عثمان النَّهدي ، التابعي الجليل عبد الرحمن بن مُلٍ . قال :

---

(٢٦) باختصار عن البرهان : ١ : ٤٥٢ – ٤٥٣ .

« بلغني عن أبي هريرة حديث أنه قال : إن اللهُ لَيَكْتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألفِ حسنة . فَحَجَجْتُ ذلك العام ، ولم أكن أريدُ الحج إلا لقائه في هذا الحديث ، فأتيتُ أبا هريرة فقلت : يا أبا هريرة بلغني عنك حديث فَحَجَجْتُ العام ولم أكن أريد الحجَّ إلا لألقاك ! قال : فما هو ؟ . قلت : إن الله لَيَكْتُبُ لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألفَ ألفِ حسنة ؟ . فقال أبو هريرة : ليس هكذا قلتُ ، ولم يحفظ الذي حدثك ! فقال أبو عثمان : فظننتُ أن الحديث قد سقط . قال : إنما قلت : إن الله ليُعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألفي ألفِ حسنة ! . ثم قال : أَوَ لَيْسَ في كتاب الله تعالى ذلك ؟! قلت : كيف ؟ قال : لأن الله يقول : ﴿ مَنْ ذالذي يُقْرِضُ الله قرضاً حسنا فيضاعفَهُ له أضعافاً كثيرة ﴾ . والكثيرةُ عند الله أكثر من ألفي ألفٍ وألفي ألف »(٢٧) .

فهذا الإمام فسّر الآية بالنظر إلى عظمة الله تعالي و عظمة فضله ، والذي وصفه الله أنه كثير هو بهذا النظر إلى عظمة الله وفضله ، فكانت العطية على الحسنة الواحدة بهذا النظر أكثر من ألفي ألف وألفي ألف حسنة .

وهكذا من نظر في آيات الوعيد خاف خوفاً عظيماً ، لأنها تفيد غاية الهول ، لعظمة قدرة الله تعالى ، التي لا يقادر قدرها .

وكذلك آيات الوعد بالنعيم .

وكذلك آيات الكفارات ، تدل على عظمة الله تعالى ، حتى لزم على المخالفة لحكمة الكفارة ... وهكذا .

---

(٢٧) أخرجه الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث : ١٣٢ – ١٣٤ وأحمد بمعناه : ٢ : ٥٢١ ومختصراً رقم ٧٩٣٢ وهو صحيح كما بينا في التعليق على الرحلة وانظر تفسير ابن كثير : ١ : ٤٩٨ و ٤٩٩ وتعليق أحمد شاكر على المسند : ١٥ : ٩٠ – ٩١ .

وأما المقام الثاني : وهو مقام مَن يشهد بقلبه كأنّ الله يخاطبه ويناجيه بألطافه ، ويتملقه بإنعامه وإحسانه ، فهذا **مقام أهل الحياء** من الله تعالى والتعظيم لله ، وهذا لعموم المقربين .

وهذا الذي ثبت فيه الحديث :

عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال : « استحيوا من الله حق الحياء . قالوا : إنا لنستحيي من الله يا رسول الله والحمد لله . قال : ليس كذلك ، ولكن من استحيى من الله حق الحياء فيحفظ الرأس وما وعى ، وليحفظ البطن وما حوى ، ويذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى . فمن يعمل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » أخرجه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي(٢٨) .

فهذا الموقف يستشعر فيه القارئ إكرام الله إياه بهدايته ، ويزداد تقرباً إلى الله بهذا الموقف وترقيا فيه ، وأن الله تعالى كرمه وشرفه بمخاطبته بكلامه ، وأن جعله يناجي ربه بإشرف نجوى بكلام الله تعالى ، فيمتزج هذا الشعور بكل فكرة يفهمها وكل معنى يظهر له من القرآن الكريم .

ولعل من هذا المقام قول بعض الحكماء : « اقرأ القرآن كأنه أوحي إليك » .

وأما المقام الثالث : وهو من يرى أنه يناجي ربه سبحانه ، وهو مقام السؤال والتَّمَسْكُن لله تعالى ، وهو لخصوص أصحاب اليمين .

وذلك بأن القارئ لكتاب الله يلقي السَمع إلى كلام ربه مصغياً إلى سر كلامه ، شهيد القلب لمعاني صفاته ، ناظراً إلى قدرته ، تاركاً ما

---

(٢٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وتابعهما السيوطي في الجامع الصغير . لكن خالفهما المناوي في فيض القدير : ١ : ٤٨٨ ورجح وقفه على ابن مسعود . لكن مثل هذا له حكم المرفوع فيما يبدو . والله أعلم .

يخالفه من أفكار أو معلومات أو آراء ونظريات ، متبرئاً من حوله وقوته ، معظِّماً لله تعالى ، متفرغاً إلى الفهم ، بحال مستقيم وقلب سليم ، وصفاء يقين بحقية القرآن ، وقوة علم راسخ في جذور القلب ، فإنه يفهم معاني القرآن ، وينفتح له منها معان تغيب عن غيره ، وينكشف له من ورائها من سرِّ الله المكنون في كلامه ، فإن كل كلمة من خطاب القرآن لها معنى يجب العلم به والاعتماد عليه ، هو الذي يكشفه علم التفسير بأدواته ، وعلى يد علمائه المتبحرين في فهمه ، ثم تلوح لصاحب هذا المقام معانٍ ومشاهدات ، وأذواق ، كما قيل : « كل كلمة من الخطاب تتوجه للعارف عشر جهات .. : الإيمان بها ، والتسليم لها ، والتوبة إليها – أي الرجوع إليها عما يخالفها علماً وعملاً – ، والصبر عليها ، والرضا بها ، والخوف منها ، والرجاء إليها ، والشكر عليها ، والمحبة لها ، والتوكل فيها »(٢٩) .

وثمة أمور تتعلق بالتدبر ، من أهمها :

١ – ترديد القراءة :

ويستحب للتدبَّر والتخشُّع **ترديد الآية** ، **أي تكرارها** ، وإعادتها مع التأمل وزيادة التفهم لها .

فإن في التكرار تأكيداً للزجر ، ومزيد ترغيب في عظيم الأجر ، وشدة تنبيه للغافل ، من غفلته . ولاشك أن التكرار يحقق إحاطة للنفس ، ويسوِّرها سوراً منيعاً عن الخبائث ، وإن تراكمت مع مرور الأيام .

وقد ثبت حديث أبي ذرٍ رضي الله عنه قال : « قام النبي ﷺ

---

(٢٩) بتصرف يسير عن البرهان : ١ : ٤٥٣ .

بآية يردِّدُها حتى أصبَحَ » . الآية : ﴿ إنْ تعذِّبْهُم فإنَّهُمْ عِبَادُكَ وإنْ تَغْفِرْ لهم فإنَّك أنتَ العَزيزُ الحكيم » أخرجه النسائي وابن ماجه(٣٠) .

وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه كرر هذه الآية حتى أصبح : ﴿ أم حَسِبَ الذينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَات أنْ نَجعَلَهُم كالذينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصالحات ﴾ الآية(٣١) .

وعن عَبَّادِ بن حمزة قال : دخلْتُ على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ : ﴿ فَمَنَّ الله علينا ووقانا عذابَ السموم ﴾ ، فَوَقَفَتْ عندها فَجَعَلَتْ تَعِيدُها وتدعو . فطال عَلَيَّ ذلك ، فَذَهَبْتُ إلى السوق ، فقضيتُ حاجتي ، ثم رَجَعْتُ وهي تُعيدُها وتدعو »(٣٢) .

وعن يحيى بن سعيد أنه أتى رجلٌ زيدَ بن ثابت ، فقال له : كيف تَرى في قراءة القرآن في سبع ؟ قال زيد : « حسنٌ ، ولأَنْ أقرأه في نصف شهر أو عشرٍ أحبُّ إليَّ . وسَلْني لم ذاك ؟ » . قال : « فإني أسألك ؟ » قال زيد : « لِكَيْ أتَدَبَّرَهَ ، وأَقِفَ عليه »(٣٣) .

٢ – البكاء والتباكي للقراءة :

ويُستحسن في تدبر القرآن والخشوع له البكاء عند **قراءة القرآن** ، وذلك لما يشعر القارئ به من الهيبة ، قال الله تعالى : ﴿ ويَخِرُّونَ للأذْقَانِ يبكونَ ويزيدُهم خُشُوعاً ﴾ .

---

(٣٠) النسائي في الافتتاح (ترديد الآية) : ٢ : ١٧٧ وابن ماجه في إقامة الصلاة (القرآن في صلاة الليل) : ١ : ٤٢٩ . والآية من سورة المائدة رقم ٧٨ .

(٣١) التبيان : ٨٠ والآية من سورة الجاثية ٢١ تمامها « سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » .

(٣٢) المرجع السابق : والآية من سورة الطور : ٢٧ .

(٣٣) الموطأ في أبواب القرآن (ماجاء في تحزيب القرآن) : ١ : ٢٥٠ – ٢٥١ .

وقد وردت فيه أحاديث وآثار عن السلف كثيرة(٣٤) . حسبنا هذه الآية .

قال الإمام أبو حامد الغزالي(٣٥) : « البكاء مُستحب مع القراءة وعندها . .وطريقه في تحصيله أن يُحْضِرَ في قلبه الحُزن ، بأن يتأمل ما فيه من التهديد ، والوعيد الشديد ، والمواثيق والعهود ، ثم يتأمَّلَ تقصيره في ذلك ، فإن لم يَحضُرّهُ حزنٌ وبكاء كما يحضر الخَوَاصَّ ، فَلْيَبْكِ على فَقد ذلك ، فإنه من أعظم المصائب .

٣ - التجاوب مع القراءة :

ومن مستحببات التدبر **التجاوب مع الآيات التي يقرؤها** ، ومن ذلك :

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في صلاته مع النبي ﷺ ذات ليلة ، قرأ النبي ﷺ في ركعة واحدة البقرة ثم النساء ثم آل عمران قال « فقرأها يقرأ مَتَرَسِّلاً ، إذا امرّ بآيةً فيها تسبيحٌ سُبَّحَ ، وإذا مَرّ بِسُؤالِ سأل ، وإذا مرّ بتعوذٌ تَعوَّذ » أخرجه مسلم(٣٦) .

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : « قُمْتُ مع النبي ﷺ ليلةٌ ، فقام فقرأ سورة البقرة ؛ لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ » .

وأخرج أبو داود والترمذي حديث : « مَن قرأ والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها فَلْيَقُل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ومَن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى آخرها ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحييَ الموته ﴾ فليقل ! بلى . ومن قرأ والمرسلات فبلغ ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ فليقل آمنا بالله »(٣٧) .

---

(٣٤) انظر جملة منها في التبيان : ٨١ – ٨٢ .

(٣٥) المرجع السابق : ٨٢ .

(٣٦) في صلاة المسافرين (استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل) : ٢ : ١٨٦ .

(٣٧) انظر بحث التدبر والتوسع في مسائله في التبيان : ٧٨ – ٨١ و ٨٤ والاتقان : ١ : ٢٩٩ – ٣٠٢

وقال أبو بكر بن طاهر : « تدبر في لطيف خطابه ، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه ، وقلبك بفهم معانيه ، وسرَّك بالإقبال عليه »(٣٨) .

ثانياً : ترتيل التلاوة :

هذا مطلب جليل ، أمر الله تعالى به " قال تعالى : « ورَتِّلِ القُرآنَ تَرْتيلاً » .

والترتيل : التنفيذ وحُسْن تناسق الشيء ، وانتظامُه ، تقول العرب : ثغر رَتِلٌ ، ورَتلَ إذا كان حَسَنَ التنضيد(٣٩) .

وقد أمر الله تعالى به « ورَتّل » ، وأكده بقوله : « تَرْتِيلا » ، وهو يدل على الوجوب . قال الإمام فخر الدين الرازي : قوله تعالى : « ترتيلاً » تأكيد في إيجاب الأمر به ، وأنه مما لابد منه للقارئ »(٤٠) .

واختار غير الرازي أن الأمر هنا للندب ، ويؤيده أن الخطاب هنا للنبي ﷺ ، وكان يرتل . لكن يجب الترتيل بمعنى أداء القرآن بمخارجه ؛ لقوله تعالى : « إنا جَعَلْناهُ قُرآناً عَرِبِيّاً » وغير ذلك من الآيات ، وقواعد التجويد هي كلام العرب .

حدود الترتيل :

والتحقيق أن للترتيل حدٌ أدنى واجب ، وحدٌ كمالٍ مستحب :

وحدُّ الترتيل الأدنى وهو الواجب : تبيين الحروف ، وألا يقع فيها تداخلٌ ، ولا إخلالٌ بمخارج الحروف ، أو بواجب التلاوة : من إظهار ، وإدغام ، ومدٍ ، وغير ذلك .

---

(٣٨) الجامع لأحكام القرآن : ١٩ : ٣٦ .

(٣٩) لسان العرب مادة (رتل) : ١٣ : ٨١ ، وتفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن : ١٩ : ٣٦ ومدارك التنزيل للنسفي : ٤ : ٣٠٣ . وهذا هو مراد من فسر الآية « ورتِّل » بقوله : «بينْ وفَصِّلْ » . أي بين الحروف وفصِّلها عن بعضها .

(٤٠) مفاتيح الغيب : ٣٠ : ١٧٣ .

وتمرينُ المسلمِ لسانه على ذلك واجب ، وله فيه أجران ، كما ثبت الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « الماهرُ بالقرآن مع السَّفَرةِ الكِرام البرَرَة ، والذي يقرأ القرآنَ ويتَعتعُ فيه وهوعليه شاقٌ له أجران » متفق عليه(٤١) .

وأقل ما في التقصير في ذلك أن يسقط من حسنات المقَصِّرِ بعضُها ، وينبغي للناس أن يرغبوا في تكثير حسناتهم .

وكمالُ الترتيل : أن يعطي الأداء حقه التام فَيَمُدَّ المدود بكمالها ، ويتأنى في القراءة ، ويسكتَ بين النفَسِ والنَّفَس ، ويراعي الوقوف ، هكذا .

وأكملُ الترتيل : أن يتوقف على الحروف والمدود بما لا يخرج إلى التمطيط ، ويقرأ القرآن على منازله : فإن كان يقرأ تهديداً لفَظَ به لفظ المتهدِّد ،وإن كان يقرأ كلام تعظيم قرأه على التعظيم ، وهكذا . .(٤٢) .

وتسمى هذه القراءة **القراءة المفسرة** ، ولعلها المراد بحديث أبى داود والترمذي وغيرهما(٤٣) . عن أم سَلَمَةَ رضي الله عنها أنها نَعَتَتْ قراءةَ النبي ﷺ : « فإذا هي تنعت قراءةً مُفَسَّرةً حرفاً حرفاً » .

وفي البخاري(٤٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل : كيف كانت قراءة النبيِّ ﷺ فقال : « كانت مدّاً ، ثم قرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » يمد « باسم الله » ، ويمُدُ « الرحمن » ، ويمدُّ « الرحيم » .

وفي الصحيحين(٤٥) عن ابن مسعود أن رجلاً قال له : « . . إني لأقرأ

---

(٤١) البخاري في التفسير (سورة عبَسَ) : ٦ : ١٦٦ ومسلم في صلاة المسافرين (فضل الماهر بالقرآن ...) ٢ : ١٩٥ واللفظ لمسلم .

(٤٢) بتصرف عن البرهان : ١ : ٤٤٩ – ٤٥٠ . وفي كلامه تداخل بين المراتبّ .

(٤٣) أبو داود : ٢ : ٧٣ – ٧٤ والترمذي : ٥ : ١٨٢ وقال : حسن صحيح غريب .

(٤٤) في فضائل القرآن (مد القراءة) : ٦ : ١٩٥ .

(٤٥) البخاري مختصراً (الترتيل في القراءة) : ٦ : ١٩٥ ومسلم بلفظه : ٢ : ٢٠٤ .

المَفَصَّل في ركعة » فقال عبد الله : « هَذّاً كَهَذِّ الشّعر ؟! . إن أقواماً يقرءون القرآن لا يجاوزُ تَرَاقيَهُمْ ، ولكنْ إذا وقع في القلب ، فَرَسخَ فيه نفعَ » .

قال الإمام النووي في المجموع شرح المهذب(٤٦) : « واتفقوا على كراهة الافراط في الإسراع ويسمى الهذَّ ، قالوا : « وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزءين في قَدْر ذلك الزمن بلا ترتيل . قال العلماء والترتيل مستحب للتدبر ، ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير ، وأشد تأثيراً في القلب ، ولهذا يستحب الترتيل للأعجمي الذي لا يفهم معناه » .

وللترتيل أثر عظيم في القارئ والسامع ، وهو حضور القلب وكمال المعرفة .

قال الإمام فخر الدين الرازي(٤٧) : « واعلم أنه تعالى لما أمره ﷺ بصلاة الليل أمره بترتيل القرآن حتى يتمكن الخاطر من التأمل في حقائق تلك الآيات ودقائقها ، فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلالته ، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف ، وحينئذ يستنير القلب بنور معرفة الله . والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني ، لأن النفس تبتهج بذكر الأمور الالهية الروحانية ، ومن ابتهج بشئ أحب ذكره ، ومَن أحب شيئاً لم يمر عليه بسرعة ، فظهر أن المقصود من الترتيل هو حضور القلب وكمال المعرفة » .

ويتعلق بالترتيل والتلاوة مسائل مهمة نبينها فيما يأتي :

١ - رفع الصوت بالقراءة :

أما القراءة في الصلاة : فقد أجمع المسلمون على مشروعية الجهر بالقراءة في صلاة الصبح والجمعة والعيدين والركعتين الأولين من المغرب والعشاء ، وهو مستحب عندهم فيها للمنفرد ، وكذا للإمام عند

---

(٤٦) : ٢ : ١٧٩ وانظر الاتقان : ١ : ٢٩٩ وقارن بالتبيان : ٨٣ - ٨٤ .

(٤٧) مفاتيح الغيب : ٣٠ : ١٧٤ .

الجمهور ومنهم الشافعية . وقال الحنفية جهر الإمام بالقراءة فيها واجب . وأما **المقتدي** فلا يجهر بالقراءة ، بل يُسرُّ .

ويُسرُّ الإمام والمنفرد في بقية الصلوات الخمس ونوافل النهار والليل ، وقيل : يجهر في نافلة الليل .

ومعنى الإسرار في القراءات والتكبيرات والأذكار وغير ذلك هو أن يقوله بحيث يُسْمِعُ نفسَه إذا كان صحيح السّمْع ، فإن لم يُسْمع نفسَه لم تصح قراءته ولا غيرها من الأذكار ، بلا خلاف(٤٨) .

وأما القراءة في غير الصلاة : فالجهر فيها مستحب ، والأحاديث في ذلك كثيرة جداً ، منها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « ما أذِنَ اللهُ لشيء ما أَذِنَ لِنَبي حَسن الصوتِ يَتَغَنّى بالقرآن ، يُجهرُ به » متفق عليه(٤٩) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : « لو رَأَيْتنِي وأنا أستمعُ لقراءتك البارحةَ ، لقد أوتِيتَ مِزْماراً من مَزامير آل داودَ » متفق عليه(٥٠) .

وعن أبي موسى أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ « إني لأعرِفُ أصواتَ رُفْقَةِ الأشعَرِين بالقرآن حين يدخلون بالليل واعرفُ منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار » متفق عليه(٥١) .

---

(٤٨) التبيان : ١١١ – ١١٢ .

(٤٩) البخاري في التوحيد (الماهر بالقرآن) : ٩ : ١٥٧ ومسلم (استحباب تحسين الصوت بالقرآن) ٢ : ١٩٢ .

(٥٠) البخاري (حسن الصوت بالقرآن) : ٦ : ١٩٥ ومسلم : ٢ : ١٩٣ .

(٥١) البخاري في المغازي (غزوة خيبر) : ٥ : ١٣٨ في هذا حديث ومسلم في فضائل الصحابة ـ من فضائل الأشعريين) : ٧ : ١٧١ . واللفظ لمسلم .

قال الإمام النووي(٥٢) : « وفي إثبات الجهر أحاديث كثيرة .

« أما الآثار عن الصحابة والتابعين فأكثرُ مِن أن تُحصرُ ، وأشهر مِن أن تُذكَرُ » .

لكن خالف بعض السلف وفضّلوا الإخفاء على الجهر ، ويدل لهم حديث عُقبةَ بن عامر رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولُ الله ﷺ يقول : « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمُسِرُّ بالقرآن كالمسِرِّ بالصدَقةِ » أخرجه الثلاثة وحسّنه الترمذي(٥٣) .

فدَل علي تفضيل الإخفات بالقراءة ، لأنه شبهها بصدقة السِّرِّ ، وهو أفضل من الإعلان .

لكن يجاب عن هذا بأنه لا إشكال ، ولا خلاف في الحقيقة ، لأن المراد تفضيل قراءة السر لمن خاف على نفسه العُجْبَ أو الرياء ، أو نحوذلك .

فمن أمنَ ذلك فالجهر مستحب في حقه ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ، ويجمع همه إلى الفكر ويشارك فيه السمع ، ويزيد النشاط .

قال الترمذي (٥٤) . : « وإنما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمَنَ الرجلُ من العُجب ما يُخافُ عليه من علانيته » .

قال الأعمشي سليمان بن مهران : « دخَلْتُ على ابراهيم – أي النخعي – وهو يقرأ في المصحف ، فاستأذن عليه رجلٌ ، فغطّاه ، وقال : لا يرى هذا أني أقرأ كل ساعة »(٥٥) .

---

(٥٢) التبيان : ٩٦ .

(٥٣) أبو داود (رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل) : ٢ : ٣٨ والترمذي في ثواب القرآن : ٥ : ١٨٠ وقال : « حسن غريب) والنسائي : ٥ : ٨٠ .

(٥٤) : ٥ : ١٨١ .

(٥٥) التبيان : ٩٧ ، والأعمش تابعي جليل من حفاظ الحديث والنخعي إمام وفقيه .

وقال أبو العالية : « كنت جالساً مع أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم ، فقال رجل : قرأتُ الليلة كذا . فقالوا : « هذا حظُّكَ منه »(٥٦) .

والجهر أكثر تأثيراً في القلب وآنس للنفس ؛ لذلك لا يرفع القارئ صوته بما يؤذيه ولا بما يؤذي مَنْ حوله من نائم أو مشتغل بشغل ، أو مصلٍ . ويراوح بين الجهر والإسرار ، خوف التعب من الجهر ، أو الملل من الاسرار(٥٧) .

والجهر أكثر تأثيراً في القلب ، وآنسُ لنفس القارئ ، ولِمن حولَ القارئ ، خصوصاً أسرته ، فإن العيال ينتفعون بقراءته فوراً ، وكذا عندما تكون امرأته ممنوعة من القراءة للحيض ونحوه .أو كانت لاتجيد القراءة ، أو كان الولدان صغاراً ، أو ينتقل الصوت إلى جار قريب قد يُلينُ قَلبَه ، وينزجر عما هو فيه من إثم ، وغير ذلك من فوائد قراءة القراءة جهراً .

لكن لا يرفع القارئ صوته بما يؤذيه ، ولا بما يؤذي مَن حولَه من نائم ، أو مشتغل بِشُغل ، أو مُصَلٍ في صلاته ، هذا فضلاً عن أن يجاوز الأذى إلى جيرانه . ويراوح بين الجهر والإسرار ، خوفَ التعب من الجهر ، أو الملل من الإسرار(٥٨) .

٢ - تحسين الصوت بالقرآن :

وهذه سنة ، أجمع العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم علي سنية تحسين الصوت بالقرآن (٥٩) ، وأدلة ذلك من الأحاديث السابقة ظاهرة ، وغيرها كثير ، منها :

---

(٥٦) المرجع السابق . وأبوالعالية هو رُفَيع الرياحي ، تابعي من أئمة المدينة .

(٥٧) البرهان : ١ : ٤٦٣ – ٤٦٤ . وانظر المسألة كلها في الإتقان : ١ : ٣٠٣ – ٣٠٤ .

(٥٨) البرهان : ! ٤٦٣ – ٤٦٤ . وانظر المسألة كلها في الاتقان : ١ : ٣٠٣ – ٣٠٤ .

(٥٩) التبيان : ٩٨ والاتقان : ١ : ٣٠٢ وانظر المجموع : ٢ : ١٧٩ و ١٨١ .

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتكم » أخرجه الأربعة الا الترمذي وصححه البخاوي(٦٠) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس مِنا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآن » أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه . وأخرجه البخاري عن أبي هريرة(٦١) .

والمعنى تحسين الصوت عند القراءة ، فإن الكلام الحسن يزيد حسناً وزينة بالصوت الحسن ، وبالتالي يزداد نفعه للقلوب لدى القارئ والسامع(٦٢) . ، كما هو معلوم مشاهد .

ولما أن الإيمان بالقرآن يوجب التعلق به ، فإن كمال الإيمان يجعل القرآن راحة النفس وربيع القلب ، فيتغنى به ويطرب ، لاسيما مع إعجاز أسلوبه وإعجاز نغمه كما جاءت الدراسات المعاصرة ، فإن لم يطرب المؤمن للقرآن ويَتَغَنَّ به – وقد فاق نغمه كل نَغَم انسجاماً واتساقاً ، وجمالاً وكمالاً (٦٣) – كان ذلك دليل قصور إيمانه ، وتسلط الهوى على قلبه ، حتى حجبه عن هذا الجمال ؛ فإن الطبع الإنساني السليم يرتاح إلى الكلام الحسن النغم ، والجميل النَّسَق ؛ لذلك قال في الحديث « ليس منا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآن » ، كما قال المناوي : « ليس من العاملين بسنتنا الجارين على طريقنا (٦٤) ، وقيل : « ليس منا : أي

---

(٦٠) أبو داود (استحباب الترتيل ...) ٢ : ٧٤ والنسائي (تزيين القرآن بالصوت) ٢ : ١٧٩ – ١٨٠ وابن ماجة (حسن الصوت بالقرآن) : ١ : ٤٢٦ وعلقه البخاري بصيغة الجزم في التوحيد : ٩ : ١٥٧ . وهو حكم بصحته .

(٦١) المسند : ١ : ١٧٢ و ١٧٥ و ١٧٩ وأبو داود في الموضع السابق وابن ماجة : ١ : ٤٢٤ ، والبخاري في التوحيد (باب قول الله وأسروا قولكم ...) ٩ : ١٥٣ .

(٦٢) وليس معناه أن القرآن بحاجة إلى تزيين . كما رأي بعض العلماء ، انظر حاشية السندي على سنن النسائي : ٢ : ١٧٩ .

(٦٣) انظر نظرية الأعجاز نظم القرآن الموسيقي في كتاب (إعجاز القرآن) لمصطفى صادق الرافعي فقد ألفه لشرحها ولخصناها في كتابنا (القرآن الكريم والدراسات الأدبية) : ١٦١ – ١٦٣ . وفي كتابنا (علوم القرآن) بحث تأليف القرآن الصوتي : ٢١١٠ .

(٦٤) فيض القدير : ٥ ، ٣٨٧ .

ليس من الذين قراءتهم كقراءة الأنبياء ، فهو بيان أنه محروم من هذا الفضل »(٦٥) .

ومن تحسين الصوت بالقرآن أنه **يستحب قراءته بالتفخيم** ، ومعناه أن يقرأه على قراءة الرجال ، ولا يُخَضِّعَ الصوتَ ويلينه مثل كلام النساء(٦٦) .

ومن استحباب تحسين الصوت بالقرآن أنه **يستحب قراءته بحزن** ، وفي حديث سعد السابق عند ابن ماجة : « إن هذا القرآن نزل بحزن ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا » .

وهو أن يقرأ القرآن متأسفاً على ما وقع منه من التقصير ، متلهفاً على يؤمِّل من التوقير ، فإذا تألم القلب وتوجَع حزُن الصوت ، وسالت العين بالدموع ، فيستلذ القارى ، ويتقرب من الحق تبارك وتعالى(٦٧) . فإن لم يحصل له الحزن يتكلفه ، فإنه يصل إلى التحقق بذلك .

٣ - تلحين قراءة القرآن :

ذهب جمهور من الصحابة ومن بعدهم إلى استحباب تلحين القرآن ، وهو مذهب الحنفية والشافعية .. وذهب جماعة من السلف إلى منعه ، وهو مذهب المالكية والحنبلية(٦٨) .

استدل الجمهور بما سبق من الأحاديث في رفع الصوت وفي تحسينه ، وهي صريحة في المراد ، مثل قوله ﷺ : « ما أذِنَ الله لشيء ما أذِنَ لنبي

---

(٦٥) حاشية السندي على سنن ابن ماجة : ١ : ٤٠٢ .
(٦٦) البرهان : ١ : ٤٦٧ والاتقان : ١ : ٣٠٣ .
(٦٧) حاشية السندي المرضع السابق .
(٦٨) كذا عزا القرطبي في الجامع لأحكام القرآن : ١ : ١٠ - ١١ وتفسير ايات الأحكام بإشراف فضيلة الأستاذ الشيخ محمد على الساسي : ٤ : ١٩٢ - ١٩٣ . وكأنه اختصر بحث القرطبي قارنه بتفسير آيات الأحكام : ٤ : ١٩٢ - ١٩٦ .

يتغَنَّى بالقرآن » ، و « زينوا القرآن بأصواتكم » . و « ليس منا مَنْ لم يتغنَّ بالقرآن » . وغير ذلك كثير .

واستدل المانعون بأدلة من القرآن والسنة والقياس .

أما القرآن : فقوله تعالى : « لا يَأتيه الباطِلُ مِن بَيْنِ يَديه ولا مِنْ خلفه » . والتلحن باطل ؛ لأنه يؤدي إلى تغيير الكلام .

واستدلوا من السنة بما لا ينهض حجة لهم ، مثل حديث حذيفة أنه ﷺ قال : « إقراءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحْون أهل الكتابيين وأهل الفسق ... الحديث » . أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي(٦٩) .

واستدلوا من القياس بأن التلحين يخرج الكلام من أصله ، ويزيد فيه المد ولو غير ممدود ، وقد يجعل الحرف الواحد حروفاً ، والمد مدوداً ، ويمد ماليس ممدوداً ، ولقصر ما هو ممدود ، وغير ذلك مما يحتاجه التغريب ، وكل ذلك لا يجوز(٧٠) .

وأجابوا عن أدلة الجمهور بأن المراد بتغني النبي تحسين صوته ورفْعُهُ ، لا التلحين ، وأن معنى « يتغنى بالقرآن » : يستغن . وقالوا : حديث « زينوا القرآن بأصواتكم » ، هذا على القلب ، والمراد زينوا أصواتكم بالقرآن لأن القرآن منبع الخير والفضائل ، فكيف نزينه .

وغير ذلك من أجوبة وتأويلات كثيرة اخترنا أمثلها ، لا نطيل بإيرادها(٢) .

---

(٧٠) من طريق بقية بن الوليد عن حصين بن مالك الغزاري عن أبي محمد عن حذيفة . قال ابن الجوزي : « حديث لا يصح ، وأبو محمد مجهول ، وبقية يروي عن الضعفاء يدلسهم » العلل المتناهية :: ١ :١١١ وقال الذهبي : « تفرد به بقية وليس بمعتمد ، والخبر منكر » ميزان الاعتدال : ١ : ٥٥٣ وانظر ٣٣٥ ومجمع الزوائد : ٧ : ١٦٩ وانظر فيض القدير : ٢ : ٦٦ .

(٧٠) انظرها مفصلة في الجامع لأحكام القرآن وقد ذاد أدلة الكل : ١ : ١٢ – ١٦ .

ونحن إذا تأملنا أدلة الفريقين نجد أدلة المجوزين للتلحين صحيحة صريحة فيه ، ونجد أدلة المخالفين متكلفة ، أو تعتمد على آثار من السنة ضعيفة ، كما أن أجوبة المانعين للتلحين متكلفة متعسفة ، فالتغني غير الجهر وحده ، وغير الاستغناء ، وادّعاء القلب في حديث « زينوا القرآن » غير مقبول ، كما يُعرف مما سبق في شرحه .

ونجد أيضاً أن القرآن عربي ، يجب أنَ يُقْرَأَ عربياً كما قرأه الصحابة والتابعون ، أخذاً عن رسول الله ﷺ .

ونجد أيضاً أن في نظم القرآن لحن طبيعي هو من داخل تركيبه الصوتي ، حتى كان لغاية حسنة وإحكام نظامه من أوجه إعجاز القرآن .

بناء على ذلك نقول : إن الخلاف بين الفريقين لفظيْ ، ليس حقيقياً ، وإلا لأدى إلى منع قراءة القرآن على وجهه الصحيح المنقول عن النبي ﷺ الذي ثبت أنه تغنّى به ، ورجّع .

لكن أراد المجوزون التلحين الذي لا يخرج عن قواعد أداء القرآن وتجويده ، وأراد المانعون ؛ ما يخرج عن ذلك ، وهو ولاشك ممنوع ، بل حرام يفسق به القارئ ويأثم المستمع ؛ لأن القارئ عدَل به عن نهجه القويم(٧١) .

إذن لابد من الاعتدال ، ومراعاة مخارج الحروف . وإعطاء حق المدود ، واجتناب المط والإنهلال بقواعد التجويد واللغة العربية .

يؤيد ذلك كلام المانعين أنفسهم وأدلتهم لمن تأملها ، ولذلك ورد القولان إباحة التلحين ومنعه عن بعض الأئمة ، كالإمام الشافعي . وقال أصحابه ؛ ليس هذا اختلاف رأي ، بل المراد واحد ، على نحو ما ذكرنا(٧٢) .

---

(٧١) الإتقان : ١ : ٣٠٣ وانظر المجموع : ٢ : ١٨١ .

(٧٢) الإتقان المرجع السابق .

٤ – قراءة النظر وقراءة الحفظ :

القراءة من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب ؛ لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة ، قال النووي : لم أر فيه خلافاً .

لكن اختار الإمام عز الدين بن عبد السلام أن القراءة عن ظهر القلب أفضل ؛ لأن المقصود التدبر ، والنظر في المصحف يخل بهذا المقصود .

ولما أن التدبر هو المقصود ، فينظر القارى الحال الذي يلائمه ويأخذ به . وقد يكون تغيير الحال من قراءة نظر إلى قراءة من الحفظ أوفق له ، ولو بعض جمل إن كان غير حافظ ، فيفعل ذلك .

وهو اختيار النووي : إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبرّ والتفكر وجمع القلب أكثر فالقراءة من الحفظ أكثر ، وإن كانا المتساويين فمن المصحف أفضل . قال : « وهو مراد السلف »(٧٣) .

٥ – محظورات في القراءة :

ومما يُعتنى به احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين :

١ – لا تجوز القراءة بالقراءات الشاذة في الصلاة أو في غيرها ، ولو قرأ بالشاذ في الصلاة بطلت صلاته إن كان عالماً . ولا تجوز الصلاة خلفه . وفي غير الصلاة يأثم ، وذكر الامام ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ وأنه لا يُصلى خلفَ من يقرأ بها . وذكر النووي اتفاق الفقهاء على استتابة مَن يقرأ بالشواذ ، وأنه يُعَزَّر – أي يؤدب – تعزيراً بليغاً إلى أن ينتهي عن ذلك(٧٤) .

٢ –لايجوز قراءة سورة من آخرها إلى أولها ، وهو ممنوع منعاً مؤكداً ، وصاحبه منكوس القلب لأنه يذهب بعمله بعض الإعجاز . أما مراعاة ترتيب السور فمستحب(٧٥) .

---

(٧٣) الأذكار : ١٨٢ . وانظر التبيان : ٩٠ والمجموع : ٢ : ١٨٠ والبرهان : ١ : ٤٦١ – ٤٦٣ وفيه توسع والاتقان : ١ : ٣٠٤ – ٣٠٥ .

(٧٤) التبيان : ٨٧ – ٨٨ و ١٣٨ والبرهان : ١ : ٤٦٧ والإتقان : ١ : ٣٠٧ والمجموع : ٢ : ١٨٠ .

(٧٥) التبيان ٨٨ – ٨٩ والإتقان : ١ : ٣٠٧ .

٣ – لا تجوز قراءة القرآن بغير العربية ، ولو لم يحسن العربية ، والذي يقرأه ليس قرآنا ، بل هو تفسير ، لا يجزئ عن قراءة القرآن المطلوبة(٧٦) .

٤ – لا تجوز القراءة في الركوع والسجود والتشهد وغيرها من أحوال الصلاة سوى القيام ، ولا للمقتدي خلف الإمام عند الحنفية .

٥ – تكره القراءة حالة القعود في الخلاء ، وفي الحمام ، ونحو ذلك .

٦ – تكره القراءة حالة النّعاس الشديد ، وكذا إذا استعجم عليه القرآن(٧٧) .

٦ – ما يباح لقارئ القرآن :

١ – يباح القراءة ماشياً في الطريق ، أو راكباً ، أو نحو ذلك لما سبق .

٢ – يستحب للقارئ إذا مَرّ على قوم وهو يقرأ أن يقطع القراءة ويسلم عليهم ، ثم يرجع إلى القراءة .

٣ – لو سَلَّم على القارئ أحدٌ وهو يقرأ يقطع القراءة ويرد السلام ، على ما اختاره الإمام النووي ؛ لأن رد السلام فرض . وفيه ذكر الله تعالى .

٤ – إن عطس القارئ حال القراءة فإنه يُستحب أن يقول : « الحمدُ لله » ، ويستحب أن يشمت غيره في غير الصلاة فيقول له : يرحمك الله .

٥ – لو سمع المؤذن قطع القراءة ، وأجابه ، ثم يعود إلى قراءته .

٦ – إذا طُلبَ من قارئ القرآن حاجة وأمكنه الجواب بالإشارة فالأولى أن يجيبه بالإشارة ولا يقطع القراءة ، وإن قطعها جاز ، خلافاً لما يتوهمه كثير من العامة كراهة ذلك ، أو أكثر(٧٨) . إذا كان لحاجة .

---

(٧٦) التبيان : ٨٧ والبرهان : ١ : ٤٦٤ – ٤٦٧ وفيه بحث عن ترجمة القرآن فانظره .

(٧٧) التبيان : ١٠٣ – ١٠٤ والإتقان : ١ : ٣٠٧ وانظر المجموع : ٢ : ١٨٠ و ١٨٢ .

(٧٨) أوردنا هذه المسائل بإختصار وتصرف عن التبيان : ١٠٧ – ١٠٨ وانظر المجموع شرح المهذب : ٢ : ١٨٢ .

٧ - قراءة الجماعة مجتمعين :

قال الإمام النووي(٧٩) : « اعلم أن قراءة الجماعة مجتمعين مستحبةٌ بالدلائل الظاهرة . وأفعال السلف والخلف المتظاهرة » .

فقد صح عن النبي ﷺ من رواية أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنه قال : « ما من قوم يذكرون الله إلا حفّت بهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » : قال الترمذي : حديث حسن صحيح(٨٠) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ ، وغَشِيَتْهُمُ الرحمة ، وحَفَّتُهمُ الملائكة ، وذكَرَهَمُ اللهُ فيمن عنده » رواه مسلم(٨١) .

ولمن يجمع الناس على قراءة القرآن أو دراسته أو مجلس ذكر أو علم له فضيلة ، جاء فيها نصوص كثيرة ، منها قوله ﷺ « مَن دلْ على خير فله مثل أجر فاعله » أخرجه مسلم(٨٢) .

وقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى » .

قال النووي : « ولاشك في عِظَمِ أجر الساعي في ذلك »(٨٣) .

٨ - القراءة بالدور - وعبروا عنها بقولهم « الإدارة بالقرآن » - وهو أن يجتمع جماعة يقرأ بعضهم عَشْراً ، أو أكثر أو أقل ، ثم

---

(٧٩) التبيان : ٩٠ . وانظر المجموع : ٢ : ١٨٠ .

(٨٠) في الدعوات (القوم يجلسون فيذكرون ..) : ٥ : ٤٥٩ - ٤٦٠ والمسند : ٢ : ٤٤٧ و ٣ : ٣٣ .

(٨١) في الذكر والدعاء (فضل الاجتماع على قراءة القرآن) : ٨ : ٧١ .

(٨٢) في الامارة (فضل إعانة الغازي ..) : ٦ : ٤١ .

(٨٣) التبيان : ٩٢ . ومن أنكر هذا الاجتماع وأمثاله فهو مخالف للسنة ولما عليه السلف والخلف وهو قول متروك كما قال النووي .

يسكت ويقرأ الآخر من حيث انتهى الذي قبله ، فهذا جائز حسن أيضاً ولا إشكال فيه . وثوابه عظيم(٨٤) .

وتُذكرٌ المسلمين بالأخذ بذلك ، في أي اجتماع يُقرأُ فيه القرآن ، سواء أكان إجتماعاً دينياً ، أو لمناسبة إجتماعية ، أو غير ذلك .

ويلزم التنبه في الإجتماع للقراءة معاً أو بالدور إلى الاحتياط في مراعاة آداب القرآءة ومجلس القرآن ، ومن ذلك :

١ – اجتناب الضحك ، واللفظ والحديث مع جاره خلال القراءة لغير ضرورة .

٢ – اجتناب العبث باليد ، أو بسلسلة يحركها ، أو نحو ذلك .

٣ – اجتناب النظر إلى ما يلهي أو يشتت الذهن ، مثل تأمل الزخارف ، أو اللوحات المكتوبة » .

وعلى الحاضرين تذكير من يغفل عن آداب المجلس باللطف ، وحسب الإمكان .

٩ – حكم القراءة للغير :

ذهب أكثر العلماء إلى مشروعية قراءة الإنسان لغيره من حي أو ميت ، وأنه يصل ثوابها إليه . وهو مذهب الأئمة الثلاثة .

وذهب الشافعي وبعض العلماء إلى خلاف ذلك ، لقوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »(٨٥) .

استدل الجمهور بظواهر أدلة كثيرة منها من القرآن :

قال الله تعالى : ﴿ والذين جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يقولونَ رَبَّنا اغْفِر لنا ولإِخْوَانِنا الذينَ سَبَقُونَا بالإيمان ﴾ .

---

(٨٤) التبيان : ٩٣ و الإتقان : ١ : ٣٠٣ .

(٨٥) الإتقان : ١ : ٣١٤ .

وقال عز وجل : ﴿ واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ولِلْمُؤْمِنِين والمؤمنات ﴾ .

واستدلوا بصحة الصدقة والحج عن الغير ، وكذا هذا .

وأجابوا عن الآية بأن وصول الثواب للغير هو من سعيه ، وهو إيمانه . أو أن المعنى أن لا يجب للإنسان إلا ما سعى .

ويرجح ذلك أنه لا خلاف في مشروعية دعاء المؤمن لأخيه المؤمن ، والتصدق عنه ، وهذا دعاء بوصول الثواب ، وقبولُه بفضل الله تعالى(٨٦) .

وفي هذا فتح باب للإكثار من قراءة القرآن . ولا يصلح القول بأن القرآن أنزل للهداية ، والتدبر فيه ، فلا يُقرأ لِيثُابَ الأموات ؛ لأن نقول بأنه تُراعَى في هذه القراءة ما يُراعَى في كل قراءة . فلم يبق معنى للاعتراض ، فَلْيَتَنَبَّهْ لذلك .

١٠ - سجدة التلاوة :

إذا قرأ القارئ آية سجدة فإنه يسجد لأجلها سجدة واحدة ، وهذا السجود واجب عند الحنفية ، سنة عند غيرهم . وشروطه هي شروط الصلاة .

وآيات السجدة أربع عشرة عند الجمهور وهي في هذه السور : الأعراف ، الرعد ، النحل ، الإسراء ، مريم ، الحج (سجدة أولى عند الحنفية وسجدتان عند الشافعية) ، والفرقان ، والنمل ، والم تنزيل السجدة وصَ وفُصِّلت ، والنجم ، وإذا السماء انشقت ، واقرأ باسم ربك .

وكيفيتها أن يكبر ثم يسجد ثم يكبر للرفع من السجود ويسلم .

وسجدة التلاوة مطلوبة عند الحنفية على التراخي ، لكن الأولى

---

(٨٦) كما قال الألوسي في روح المعاني : ٨ : ٢٦٥ وانظر المدخل إلى دراسة القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد أبو شهبة : ٤٦٧ - ٤٦٨ والموسوعة الفقهية مادة (ثواب) ف ١٠ ج ١٥ ص ٥٧ - ٥٨ . وفي الألوسي توسع فانظره .

تعجيلُها. وعند غير الحنفية مطلوبة على فور القراءة لآية السجدة ، أو يُسمح بفاصل قصير ، فإن طال فاتت ، ولا تُسْجَد ، ولو كان تأخيرها بعذر عندهم .

أما سجدة الآية يقرأها في صلاته ، فإنها على الفور ، لا تأخير فيها اتفاقاً . وحكم سامع آية السجدة وجوب السجود لها عند الحنفية والسنية عند غيرهم كذلك .

وتطلب من سامع كل قارئ ، ولو جُنُباً أو صبياً مُمَيِّزاً أو كافراً أو امرأة حائضاً أو نُفَساء عند الحنفية والشافعية .

ويشترط لسنية سجود المستمع لآية السجدة عند المالكية والحنبلية كونُ المستمع قاصداً السماعُ ، فإن لم يكن قاصداً السماع لا يُسنُّ له السجود ، وأن يكون القارئ صالحاً للامامة في الفريضة ، أي ذكراً بالغاً عاقلاً متوضئاً . زاد المالكية أن لا يكون قصدُ القارئ إسماعَ الناس حُسنَ صوته(٨٧) .

---

(٨٧)انظر أحكام سجدة التلاوة في الهداية وفتح القدير : ١ : ٣٨٠ - ٣٩٢ ومراقي الفلاح ١٩٢ - ٢٠٠ ومواهب الجليل : ٢ : ٦١ - ٦٦ وشرح الرسالة بحاشية العدوي : ١ : ٣١٨ - ٣٢١ وشرح المنهاج بحاشيتي قليوبي وعميرة : ١ : ٢٠٥ - ٢٠٨ والمجموع شرح المهذب ٢ : ٥٥١ - ٥٦٢ والمغني : ١ : ٦١٦ - ٦٢٧ وكشاف القناع : ١ : ٤٤٥ - ٤٤٩ .

المبحث الخامس

توجهات الاستماع للقرآن الكريم

١ - حكم الاستماع :

استماع قراءة القرآن الكريم خارج الصلاة واجب ، لأن لم يكن هناك عذر مشروع لترك الاستماع ؛ لقوله تعالى : « ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ .

وجعله بعض الحنفية فرض كفاية ؛ لأن المقصود إقامة حق القرآن ، وذلك يحصل بإنصات البعض ، مثل رد السلام .

وعند الحنابلة يسن استماع قراءة القرآن الكريم .

٢ - إذا كان هناك عُذْر لترك الاستماع لتلاوة القرآن فَيعْذَرُ السامع بترك الاستماع ولا يكون آثماً ؛ رفعاً للحرج عنه قال تعالى : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ . بل الآثم هو القارئ ؛ لأنه مَضَيِّعٌ لحرمة القرآن .

ومن أمثلة أحوال العذر : أن تقع التلاوة بصوت مرتفع في أماكن الاشتغال ويكون السامع في حالة اشتغال ، كالأسواق التي بنيت لتعاطي أسباب الرزق كذلك البيوت في حالة اشتغال أهل البيت في تدبيره ، من كنس ، وطبخ وتنظيف وغير ذلك .

كذلك القراءة بصوت عال في حضرة مَن يدرس العلم . أو في المسجد وفيه مَن لم يفرغ من صلاته .

ومن ذلك تعرف خطأ رفع قراءة القرآن في المآذن ، فإن حولها المرضى ، والمشغولون والذين في الحمام ، والنائمون .

٣ - استحباب طلب القراءة الطيبة :

ولعظمة فضل الاستماع لقراءة القرآن ، وقد جعلها الله تعالى سبباً لرحمته ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون ﴾ ، قال الحنفية : إن استماع القرآن أفضل من

قراءة الإنسان القرآن بنفسه ، لأن الاستماع واجب ، وقراءة القرآن خارج الصلاة ليست واجباً .

واتفقوا على أنه يستحب أن يطلب المسلم القراءة ممن يحسن قراءة القرآن مع حُسْنِ الصوت ، وقد كان « جماعات من السلف رضوان الله عليهم يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحَسَنة أن يقرءوا وهم يستمعون ، وهذا متفق على استحبابه - كما نص النووي - وهو من عادة الأخيار المتعبدين ، وعباد الله الصالحين »(٨٨) .

وهو سنة ثابتة عن سيد النبيين الصالحين ﷺ . فقد أخرج البخاري ومسلم(٨٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ : « اقرأ عليّ » . قلت : يا رسول الله آقرأُ عليك وعليك أُنزل !! قال : « نعم » - وفي لفظ آخر عندهما إني أحبُّ أنّ أسمَعَه من غيري فقرأتُ سورة النّساءِ ، حتى أتَيْتُ إلى هذه الآية : ﴿ فكيفَ إذا جِئْنَا منْ كُلِّ أُمَّةٍ بشَهيدٍ وجِئْنا بكَ على هؤلاء شَهيداً ﴾ قال : حَسْبُكَ الآن . فالْتَفَتُّ إليه ؛ فإذا عيناه تَذْرِفان ﷺ .

وقد وقع استماعه ﷺ للقرآن من الصحابة كثيراً ، فاحرص عليه .

٤ - توجه القلب في حضرة القرآن :

كما صرحت بذلك الآية الكريمة ؛ أن يتوجه القلب إلى الرب راجياً رحمته تعالى وإكرامه : ﴿ فاستَمِعُوا له وَأَنْصتُوا لَعَلّكُمْ تُرْحمون ﴾ .

فيستحب في حضرة القرآن التدبر والتفهم على الأوجه والمقامات التي سبقت في توجه قارئ القرآن ، ويستحب التخشُّع والتمسكن والبكاء ، الذي أثنى الله تعالى على أهله ، والكف عما يشغل الذهن ؛ ليكون مَحَلٌّ تنزل الرحمة المرجوة من فضل الله تبارك وتعالى .

---

(٨٨) التبيان : ١٠٠ - ١٠١ ، وأنظر تفصيل مسألة الاستماع في الموسوعة الفقهيه مادة (استماع) فـ٣ - ٥ ج ٤ ص ص٨٥ -٨٧ .

(٨٩) البخاري في فضائل القرآن (قول المقرئ للقارئ حسبك) : ٦ : ١٩٦ ومواضع أخرى ومسلم في صلاة المسافرين (فضل استماع القرآن وطلب القراءة ..) : ٢ : ١٩٥ - ١٩٦ .

٥ - السجود لسماع آية سجدة :

إذا مرت بسامع القرآن آية سجدة سجد لها ، وحكمه حكم القارئ ، وسبق تفصيل شروطه في المبحث السابق(٩٠) .

وأفتى مشايخنا سامع القراءة من صوت التسجيل المسموع أو المرئي أنه لا يسجد لسماع آية السجدة ، لأن هذا صدى القراءة ، وليس هو القراءة نفسها ، فأعطوه حكم الصدى .

---

(٩٠) فقرة ١٠ في أخره ، وفيها العزو إلى مراجعه الفقهية . وانظر بحث سجدة التلاوة حديثيا وفقهياً في كتابنا إعلام الأنام شرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام ٥٩٠ - ٥٩٩

المبحث السادس

التوجهات في ختم القرآن الكريم

ختم القرآن فوز بحظ عظيم ، وتحصيل لمعرفة مقاصد المعجزة الكبرى للنبي ﷺ ، وهو اجتياز مرحلة في الطريق إلى الله تعالى ، وارتفاع منازل في الجنة لا يعلمها إلا الله . لذلك شرعت للختم آداب تناسب فضله ، نذكر مهماتٍ منها فيما يأتي :

١ - في كم يختم القرآن الكريم :

يُسَنُّ ختم القرآن **كل أسبوع** ، كما كان عليه أهل النشاط من الصحابة .

عن أوس بن أبي أوس في حديث طويل قال : « فسألت أصحاب رسول الله ﷺ : كيف تحزِّبون القرآن ؟ فقالوا : « ثلاثٌ ، وخمسٌ ، وسبع ، وتسع وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفُصَّل وحده » أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة(٩١) .

ولا تزيد مدة الختم عن شهر ، قال ﷺ لعبد الله بن عمرو : « اقرأ القرآن في شهر . قال : إني أجد قوة . حتى قال : « فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك » متفق عليه(٩٢) .

ويكره أن يختم في أقل من ثلاث ؛ لقوله ﷺ : « لا يفقه مَن قرأ القرآن في أقلُّ من ثلاث » أخرجه الأربعة وصححه الترمذي(٩٣) .

وورد عن أكابر السلف قراءة القرآن في أقل من ذلك ، حتى قرأوا أكثر من ختمة في اليوم(٩٤) . وتلك أحوال خاصة ، يتعير بها أهل التكاسل .

---

(٩١) المسند : ٤ : ٩ و ٣٩٣ وفيها تحريف وأبو داود في الصلاة (تحزيب القرآن) : ٢ : ٥٥ : ٥٦ . وابن ماجه في الاقامة : ١ : ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٩٢) البخاري في فضائل القرآن (في كم يقرأ القرآن) : ٦ : ١٩٦ ومسلم في الصوم (النهي عن صوم الدهر) : ٣ : ١٦٣ مطول جداً عندهما . اقتصرنا على موضع الشاهد .

(٩٣) أبو داود في الصلاة : ٢ : ٥٦ والترمذي في القراءات : ٥ : ١٩٨ رقم ٢٩٤٨ وابن ماجة في الموضع السابق .

(٩٤) انظر أخباراً كثيرة في التبيان : ٦٠ - ٦١ والبرهان : ١ : ٤٧٠ - ٤٧١ والإتقان : ١ : ٢٩٣ - ٢٩٤ .

٢ - التكبير :

وهو شائع عن أئمة القراءات ، وتلقّاه الناس عنهم بالقبول ، ولهم في ذلك أحاديث موقوفة ومرفوعة . قال الشافعي : « إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن نبيك عليه الصلاة والسلام » . وهذا يقتضي تصحيحه للحديث .

ولفظه « الله أكبر » . ونُقِلَ عن جماعة « لا إله إلا الله والله أكبر » . ونُقِلُ زيادة « ولله الحمد » .

ومحله من آخر سورة « والضحى » إلى آخر سورة الناس ، وقيل : من أول سورة « والضحى » إلى أول سورة الناس ولا يصل آخر السورة بالتكبير ، بل يفصل بينهما بسكتة .وحكمة التكبير تشبيه القراءة بصوم رمضان ، إذا أكمل عدته يكبر ، كذلك هنا إذا أكمل عدة السور يكبر(٩٥) .

٣ - الوقت الأفضل لختم القرآن :

الأفضل الختم أول النهار أو أول الليل ، وأنه إذا كان القارئ وحده يستحب أن يختم في الصلاة ، في ركعتي الفجر ، أو ركعتي سنة المغرب(٩٦) .

٤ - **يُستحسنُ صيام يوم الختم** ، فعل ذلك جماعة من الصحابة والتابعين ، كما ثبت عنهم(٩٧) ، لكن لا يصومه إذا صادف يوماً نهى الشارع عن صيامه .

٥ - الشروع في ختمة أخرى :

قال الإمام النووي(٩٨) : « يُسْتَحَبُّ إذا فَرغ من الخَتْمَةِ أن يشرع في أخرى عقِبَ الخَتم ، فقد استحبه السلف والخلف » . وهو أن يقرأ بعد سورة الناس الفاتحة وآيات من البقرة .

---

(٩٥) الإتقان : ١ : ٣١١ - ٣١٢ وانظر تلاوة القرآن المجيد : ١١٥ - ١١٧ .

(٩٦) التبيان : ١٣٠ - ١٣١ والإتقان : ١ : ٣١٠ - ٣١١ وتلاوة القرآن المجيد : ١١٧ .

(٩٧) التبيان : ١٣١ وتلاوة القرآن المجيد : ١١٨ .

واحتجوا فيه بحديث ابن عباس قال : قال رجل : يا رسول الله أي العمل أحبُّ إلى الله ؟ قال : ﴿ الحالُّ المرتَحِل ﴾ . قال : وما الحالُّ المُرتَحِلُ ؟ قال : ﴿ الذي يضربُ من أول القرآن إلى آخره ، كلما حلَّ ارْتَحَلَ ﴾ . أخرجه الترمذي والدارمي(٩٩) .

وأخرج الدارمي بسند حَسَن عن ابن عباس عن أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه أنْ النبي ﷺ كان إذا قرأ « قل أعوذ برب الناس » افتتح من الحمد ، ثم قرأ من البقرة إلى « أولئك هم المفلحون » ، ثم دعا بدعاء الختمة ، ثم قام » .

وفي هذا الشروع معنى جميل ، هو زيادة التعلق بالقرآن ، وتهيئة النفس لختمة جديدة ، ودفع الملل عنها ، كما أنه يناسب الدعاء المشروع بعد الختم .

٦ - حضور مجلس الختم :

يستحب حضور مجلس ختم القرآن استحباباً متأكداً ، كان يحرص على ذلك الصحابة والتابعون ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجعل رجلاً يُراقبُ رجلاً يقرأ القرآن ، فإذا أراد أن يختم أعْلَمَ ابنَ عباس فيشهد ذلك أخرجه الدارمي وابن أبي داود .

وقال مجاهد بن جبر : « كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ، يقولون : تنزل الرحمة » .

وقال الحَكَمُ بن عُتَيْبَةَ التابعي الجليل : أرسل إليَّ مجاهد وعَبدة بن أبي لُبابة ، فقالا : « إنا أرسلنا إليك ؛ لأنا أردنا أن نختم القرآن ، والدعاء مستجاب عند ختم القرآن »(١٠٠) .

---

(٩٨) التبيان : ١٣٥ . وانظر الإتقان : ١ : ٣١٣ وفيه قوله « يُسَنُّ إذا فرغ ...» .

(٩٩) الترمذي في آخر القراءات : ٥ : ١٩٧ – ١٩٨ والدرامي : ٢ : ٤٦٩ .
قال الترمذي « إسناده ليس بالقوي » ، ثم رجح إرساله . ومدار الطريقين على صالح ابن بشير المري ضعيف ، عن قتادة عن زُرارة بن أوفى . ومثله يعمل به في فضائل الأعمال ، وادعاء أنه لم يعمل بذلك السلف يعارضه إثبات النووي ذلك ، وقد أيد حديث الترمذي حديث الدارمي . ونص السيوطي على أنه في الإتقان .

(١٠٠) انظر هذه الآثار وغيرها في التِّبيان : ١٣١ – ١٣٢ ، ونص على صحة إسناد كل منها .

٧ - الدعاء عقيب الخَتم :

يُسْتَحبٌّ الدعاء عقيب ختم القرآن استحباباً متأكداً(١٠١) ، لما سبق من الأحاديث ، ولحديث عمران بن الحصين رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « مَن قرأ القرآن فليسأل الله به ، فإنه سيجيء أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس » أخرجه الترمذي عنه وأخرجه ابن حبان عن أبي بن كعب في صحيحه . وحسنه السيوطي(١٠٢) .

وعن العِرْباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مَن صلى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة ، ومَن خَتم القرآن فله دعوة مستجابة » أخرجه الطبراني(١٠٣) .

وفي المسألة أحاديث متعددة ، تؤكد أمر الدعاء بعد ختم القرآن(١٠٤) . تبلغ العشرة ، ما بين مرفوع صريحاً ومرفوع حكماً .

وهذا يتمشى مع قاعدة الشرع باستحباب الدعاء واستجابته آخر الطاعة ، مثل دبر الصلوات المكتوبات ، وعند إفطار الصائم ، وعند أداء أركان الحج . فالدعاء بمنزلة قطُف ثمرة عاجلة يكرم الله بها عبده الطائع ، لذلك ينبغي عليك أن تُلِحٌّ في الدعاء ، وتدعوا بالأمور المهمة ، وأن تكثر الدعاء في صلاح المسلمين ، وصلاح دينك ودنياك . وأن يجعل الله القرآن ربيعاً لقلبك ، وإماما لسلوكك ، وجلاء لهمك وغمك ، وأن يجعله في القبر والحشر مؤنساً ، وفي الآخرة شفيعاً وإلى أعلى الجنة قائداً . اللهم آمين .

---

(١٠١) التبيان : ١٣٢ والإتقان : ١ : ٣١٢ وفيه « يسن الدعاء عقب الختم » .

(١٠٢) الجامع الصغير وشرحه فيض القدير : ٦ : ٢٠٤ .

(١٠٣) المرجع السابق : ١٧١ .

(١٠٤) انظرها في التبيان : ١٣١ - ١٣٣ وتلاوة القرآن المجيد : ١١٨ - ١٢٠ . وأوصى القارىء الكريم لزاماً أن يرجع إلى كتاب تلاوة القرآن المجيد ، فإن فيه روحاً خاصاً ، كما هي كتب فضيلة شيخنا أمتع الله المسلمين به .

ثبت المراجع

١ – الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . المكتبة العصرية . صيدا – بيروت .

– الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي . ط . مؤسسة الرسالة – بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ .

– الأذكار ، للنووي ، يحيى بن شرف . ط دار الفكر . دمشق .

– إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ﷺ للنووي تحقيق د . نور الدين عتر . ط . دار اليمامة . « دمشق الطبعة الثالثة ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ .

– إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي . المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة .

– إعلام الأيام شرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام . نور الدين عتر – مطبعة الصباح ، دمشق . الأولى ١٤١٨ – ١٩٩٨ .

– البرهان في علوم القرآن ، للزركشي . بدر الدين محمد تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط . دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .

– التبيان في آداب حَمَلَة القرآن ، للنووي . مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع – الكويت . الطبعة الثالثة ١٤٠٩ – ١٩٨٨ .

– تفسير آيات الأحكام ، تأليف جماعة من علماء الأزهر ، بإشراف محمد علي السايس . ط . محمد علي صبيح – القاهرة .

– تفسير سورة الفاتحة ، لنور الدين عتر . ط . دار البشائر الإسلامية ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٥ – ١٩٩٤ .

– تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، اسماعيل بن كثير . ط كتاب الشعب . القاهرة .

– الجامع (السنن) للترمذي ، محمد بن عيسى . تحقيق أحمد شاكر ط . مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الأولى ١٣٥٦ – ١٩٣٧ .

– الجامع الصحيح ، للبخاري ، محمد بن إسماعيل . ط. الأميرية ، بولاق سنة ١٣١٣ هـ .

– الجامع الصغير ، للسيوطي ، مع شرحه فيض القدير للمناوي محمد عبد الرءوف المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة .الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨ م .

– الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي . محمد بن أحمد دار الكتب المصرية .

– الجرح والتعديل ، للرازي ، عبد الرحمن بن أبي حاتم ، ط . دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن الهند . سنة ١٣٧١ هـ – ١٩٥٢ .

- حاشية السندي محمد بن عبد الهادي ، على سنن ابن ماجة ، المطبعة الثانوية . القاهرة .
- حاشية السندي على سنن النسائي . باعتناء عبد الفتاح أبو عزه . دار البشائر الإسلامية . بيروت .
- الرحلة في طلب الحديث ، للخطيب البغدادي ، أبي بكر أحمد بن علي تحقيق نور الدين عتر ، ط . دار الكتب العلمية – بيروت .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . للألوسي . ط . الأميرية – بولاق ١٣٠١ .
- السنن لأبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني . ط . المكتبة التجارية . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرى القاهرة .
- السنن للدارمي . عبد الله بن عبد الرحمن . دار الكتاب العربي . بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ – ١٩٨٧ .
- السنن لابن ماجة ، محمد بن يزيد . دار إحياء الكتب العربية – ١٣٧٢ .
- السنن للنسائي ـ المجتبى) أحمد بن شعيب مع حاشيتي السيوطي والسندي ، بإعتناء عبد الفتاح أبو غده . دار البشائر الإسلامية – بيروت ١٤٠٩ – ١٩٨٨ .
- شرح الرسالة بحاشية العدوي في الفقه المالكي . ط . دار إحياء الكتب العربية .
- شرح المنهاج للمحلى بحاشيتي قليوبي وعميرة . ط . محمد على صبيح وأولاده .
- الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري . المطبعة العامرة استانبول . الطبعة الأولى ١٣٣٠ .
- صحيح ابن حبان . انظر الإحسان عزونا لابن حبان من طريقه .
- صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق . تحقيق د . مصطفى الأعظمي . ط . المكتب الإسلامي ،بيروت . الطبعة الأولى . ١٣٩١ – ١٩٧١ .
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، لابن الجوزي ، عبد الرحمن طبع الهند .
- علوم الحديث ،لابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري بتحقيق نور الدين عتر دار الفكر . دمشق . الطبعة الثالثة ١٤٠٤ – ١٩٨٤ .
- علوم القرآن الكريم ، نور الدين عتر . الطبعة السادسة . دار اليمامة دمشق ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، أحمد بن علي . ط . الخيرية للخشاب .
- فتح القدير لكمال الدين بن الهمام شرح الهداية . ط . الأميرية – بولاق سنة ١٣١٥ هـ .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي ، المكتبة التجارية الكبرى . ١٣٥٦ هـ – ١٩٣٨ .

- في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز ، نور الدين عتر . الطبعة الحادية عشرة ، مطبعة الصباح دمشق . سنة ١٤١٧ - ١٩٩٦ .
- القرآن الكريم والدراسات الأدبية ، نور الدين عتر ، الطبعة الخامسة ، المطبوعات الجامعية ، دمشق .
- كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي : منصور بن يونس . عالم الكتب سنة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ .
- لسان العرب ، لابن منظور ، محمد بن مكرم . مصورة عن طبعة بولاق .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي . نور الدين علي بن أبي بكر ، ط مكتبة القدسي القاهرة ١٣٥٢ .
- المجموع شرح المهذب ، للنووي ، مطبعة العاصمة . القاهرة .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للنسفي . عبد الله بن أحمد . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة .
- المدخل إلى دراسة القرآن الكريم ، محمد محمد أبو شهبة .
- مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح لحسن الترنيلالي . المكتبة الأدبية حلب .
- المستدرك علي الصحيحين ، للحاكم النيسابوري . محمد بن عبد الله . وبذيله تلخيص المستدرك لشمس الدين محمد الذهبي . ط. الهند ١٣٣٤ .
- المسند ، للإمام أحمد بن حنبل . ط. المكتب الإسلامي بيروت .

المغني ، لابن قدامة ، موفق الدين . عبد الله بن أحمد . ط المنار . الثالثة ، ١٣٦٧ هـ .

- مفاتيح الغيب ، للرازي ، فخر الدين محمد بن عمر . المطبعة البهية المصرية .
- منهج النقد في علوم الحديث ، نور الدين عتر . دار الفكر . دمشق ١٤٠٨ .
- مواهب الجليل شرح مختصر خليل ، للحطاب محمد بن محمد المغربي . تصوير دار الفكر .
- الموسوعة الفقهية . إصدار دار الأوقاف الإسلامية . الكويت .
- الموطأ للإمام مالك بن أنس ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . تصوير بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد . دار إحياء الكتب العربية ، تحقيق علي محمد البجاوي . ط. دار احياء الكتب العربية . القاهرة الطبعة الأولى ١٣٨٢ - ١٩٦٣ .
- الهداية شرح بداية المبتدي . لأبي بكر المرغينائي ، مع شرحها فتح القدير ط . الأميرية . بولاق . سنة ١٣١٥ هـ .